النفائس العصرية

AN-NAFAIS AL-ASSRIAH
PROPRIETOR KHALIL BEDAS
JERUSALEM, PALESTINE.

النفائس العصرية
مجلة ادبية تاريخية فكاهية
تصدر مرتين في الشهر
لصاحبها خليل بيدس

قيمة الاشتراك
ستون قرشاً في البلاد العربية
وسبعون في الخارج
الاعلانات
تُفاوض بشأنها الاداره

الجزء ١٧ — القدس في ١٥ اذار سنة ١٩٣٠ — السنة ٧

سفر في التومبيل [1]

للسيد الرصافي

وفدفدٍ قاتم الاعماق متسعٍ   طويتُ اجوازه طيَّ المكاتيب
بتومبيل جرى في الارض منسرحاً   كما جرى الماء من منخ الاهاضيب
ينساب مثل انسياب الايم تحمله   عواملٌ عجلاتٍ من دواليب
كأنها وهي بالمطّاط مُنعلة   تمشي باخفاف انواق مطاريب
يمرّ كالريح لم تسمع لارجله   سوى حفيفٍ كنفخٍ في الانابيب
وتنكر الخيل ان جارته في سنن   ما تعرف الخيل من حُضر وتقريبِ
تظلّه قبة فيه منجدة   قد زانها حسنُ تنجيد وتقبيب
يخال من حلَّ فيها نفسه ملكاً   يُزهى بتاج على الفودين معصوب

* * *

ركبته وبياض الصبح تحسبه   صدر المليحة مكشوف التلابيبِ
والبدر في الافق الغربيّ ممتقع   يرنو الى الفجر في الحاظٍ مرعوب
وللنجوم بقايا في جوانبه   كالعقد منفرطاً من جيد رعبوب
وللنسيم هبوب في مدارجه   ما ينعش الروح من نشر ومن طيب
فطار من غير تحليق براكبه   بل مرَّ يمطر مطراً فوق ملحوب
وسار سيراً دراكاً ملءَ مهيعه   كالوبل يتبع شؤبوباً بشؤبوبِ
فكنت ابصر حولي الارض جارية   كمثل تيّار بحر وهو يجري بي
يلوح فصل الرُبى وصلاً فاحسبها   من سرعة المرّ قد صُفت بترتيب
ما زال يجتاز بي ما في البسيطة من   سهلٍ ومن جبلٍ عالي الشناخيب
حتى بلغت به اقصى مدى عجزت   عنه العتاق من الجُرد السراحيب
وكم علا بيَ انشازاً تسلّقها   وشاب في السير تصعيداً بتصويب
لا يعرف الاينُ منه اينَ موقعه   ولو يواصل ادلاجاً بتأويب
وكيف يتعب ما لا حسّ يتبعه   ولا يسير على ساقٍ وظنبوب
وانما هو يجري في مسالكه   دفعاً بقوة غازٍ فيه مشبوب

* * *

جرّبته هابطاً اجزاع اودية   وطالعاً في الثنايا والعراقيبِ
وملهباً في سهول الارض ينهبها   نهباً ويخلط الهوباً بالهوب
فكان اسبق مركوب لغايته   وكنت اقرب طلاب لمطلوب
تلك المطية لاما كان يذكرها   ادهب ذبيان من عيرانة النيب[2]
لو امتطاها لبيد الشعر تاه بها   على الحواضر قدماً والاعاريب
ولم يهم لو رأى ابن العبد منظرها   من وصف عوجائه في كل اسلوب[3]
ولا اطال ابن حجر وصف منجرد   عالي السراة كميت اللون يعبوب

---

١ تومبيل وزان زنجبيل مُعرب اوتوموبيل وقد سلك الناظم في تعريبها مسلك الاقدمين بان صاغها في قالب موافق للاوزان العربية

٢ اشارة الى قول النابغة

فعدِّ عما ترى اذ لا ارتجاع له   وانم القتود على عيرانة اجد

٣ يشير الى قول طرفة في معلقته

واني لامضي الهم عند احتضاره   بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

احمد فارس والفارياق

اشرنا في الجزء الماضي الى صدور كتاب «الساق على الساق في ما هو الفارياق» مطبوعاً طبعةً جديدة على نفقة حضرة الفاضل يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب في مصر وقد سألنا صديقاً لنا ان ينتقده فأتحفنا بالكلمة التالية قال:

عُني افاضل الكتّاب منذ زمن غير بعيد بنقد مؤلفات الشيخ احمد فارس وتقريظها، فكان أهم ما آخذوه عليه كتابهُ الموسوم «بالساق على الساق في ماهو الفارياق» لِما فيه من المجون والاغراب ولم يزيدوا. لكنهم اجمعوا على انه في كتبه الاخرى كان اسبق العاملين على احياء اللغة العربية وأشرف من وقف نفسه على خدمتها بلا جدال

وقد حمل لنا البريد اخيراً الطبعة الثانية من «الفارياق» على غير انتظار، مع ان الطعن كل الطعن كان موجهاً اليه دون غيره. فهل اصاب الناشر في عمله، ام ضلَّ سواء السبيل؟ — ذلك ما سنحاول الاجابة عليه

* * *

لا خلاف في ان صاحب «الجوائب» قد جاهد في سبيل احياء العربية جهاداً لم يسبقه الى مثله عربي قبله ولا بعده — بما كتب وألّف وجمع وصنّف

فانه قد سنَّ للصحافة العربية في جوائبه خير سُنَن، فرفع من شأنها وأعلى مقامها. وأحيا بما نشر من مؤلفات السلف الصالح ومصنفاتهم العجيبة ميت الآمال ومدفون الهمم. وأبقى بما ألف من الكتب القيّمة في فقه اللغة ونقد المعاجم والرحلات العديدة — كسرّ الليال في القلب والابدال، والجاسوس على القاموس، وكشف المخبأ عن فنون اوربا، والواسطة في اخبار مالطه... الخ — خيرَ مدّخر للكتاب والادباء والشعراء والعلماء. وجدّد اسلوب الانشاء، فخلّصه من قيود السجع البارد وشعوذة الصناعة اللفظية وتكلّف المعاني الغثة التافهة. ودعا البلغاء الى طرق المواضيع العالية المفيدة بما ترك لهم من نماذج المقالات العلمية والادبية والاجتماعية، فلبوا داعيه وائتمروا بامره ومشوا على آثاره

* * *

فاذا كانت هذه صفات الرجل وهذا مقامه، فكيف زلّت به قدمه الى تأليف الفارياق؟

لنبحث قليلاً في سيرة المؤلف علّنا نهتدي الى وميض يضيء لنا الطريق

يقول لنا الواقفون على تاريخ حياته ان قومه كانوا قد اضطَهدوه لانه صبأ عن مذهبهم فآذوه في نفسه وذوي قرباه واضطرُّوه لان يعيش بعيداً عن اهله واوطانه شريداً طريداً

فنحن نستنتج من هذا ان الشيخ اضطُهد فأُوذي فثار فانتقم، وما اشرف ما انتقم! انتقم لنفسه ولذويه ولمبادئ عالية كان يحس بها

آلمه المؤذون، فقابلهم بالاستخفاف والسخرية وضحك بهم خيفة ان يبكي منهم. هزئ بهم فأوسعهم هجواً قاذعاً وهجراً لاذعاً، واحتقر ما أَلِفوه من عادة سخيفة وخلق ذميم وقانون جائر، فتهقه من تلك السفاسف. وظن ان منشأ اكثر المصائب في العالم المرأة، فوفاها نصيبها من القدح دون ان يبخسها حقها من الاطراء والمدح

لا جرم انهم أضجروه اذ اهانوه، فكتم اهانته، شيمة كل عاقل ابيّ النفس، واضطرَّ للاتيان بما اتى وحُقَّ له

لكنه سرعان ما حلم، فاستغفر لنفسه ولقومه، وانصرف الى عمل الخير وخير العمل، فأكبَّ على اللغة يدرسها ويحرثها، ثم شرع لنا شرعاً جديداً في سبيل هذه النهضة المباركة،

فبورك فيه وبورك بمؤلفاته وبورك بالفارياق

* * *

لايقدح في قيمة الفارياق ما به من مجون . فان جُلَّ كتب الاولين والاخرين في الشعر والادب ، سواء في ذلك العربية والافرنجية . لم تكن تخلو من (شطحات) أقدم فيها المؤلفون على هتك الحجب عما يُسرُّه الناس عامتهم وخاصتهم ، تطبعاً لا طبعاً ، احتراماً لعادات أِلفوها واخلاق تواطأوا عليها

هذا امرؤ القيس ، وعمرو بن كلثوم ، والنابغة الذبياني – في الجاهلية . وعمرابن ابي ربيعة ، والجاحظ ، وابو نواس – في الاسلام . وزولا ، والفريد دي موسيه ، ومارسيل بريڤو – من الفرنسيس ، وكثير غيرهم ممن لاتحضرنا اسماؤهم ، لم تخلُ اشعارهم او كتاباتهم مما يسميه الناس خروجاً عن حدود اللياقة والادب

ولقد انتقدت سيدة انكليزية ما في الروايات الافرنسية من وصف الخلاعة والتهتك ، ولامت مؤلفيها على زهدهم في الفضائل والحض عليها ، فأجابها الروائي الشهير موباصان بقوله : «ليس للفضيلة تاريخ ياسيدتي»

فالحرية تبيح للاديب المتفنن ان يطرق كل باب ويُزيح كل ستار ، ولا تثريب عليه ولا لوم

* * *

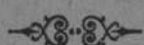
اما الاغراب فلا حاجة لاطالة البحث فيه وحسبنا ان المؤلف قصده بالذات ، اذ أراد ان يتحفنا بمعرض جميل من الالفاظ العربية والاصطلاحات الفنية التي كانت في زمانه كالتحف النفيسة هُجِرت في بطون الدفاتر والاوراق في خزائن المكاتب هجرًا طويلاً ليس بالجميل ، ولا سيا والكتّاب في عصره كانوا يضيقون ذرعاً بالتعبير عن افكارهم والافصاح عن حاجاتهم ومرافقهم ، فخدم اللغة بذلك خدمة جلّى لا يختلف في الشكر عليها اثنان

وما ننس لاننسَ انه اول من فتح باب الاجتهاد في اللغة ، فهدانا الى طريقتي الاشتقاق والتعريب ، بوضع ما نحتاج اليه في تسمية المخترعات الحديثة والاكتشافات الجديدة

* * *

«فالساق على الساق» كتاب ادب وعظة ، حوى بين دفتيه شيئاً من حياة رجل عصامي كبير وألمَّ بوصف عصر عجيب . فأخلق بابناء الضاد ان يكرموا من سَمَت به نفسه الى خدمتهم وجمع شملهم بتوحيد كلمتهم واعلائها

ع



الحياة الاميركيَّة

مَن زار اميركا من الشرقيين بعد ان يكون قد زار اوربا رأى بينهما فروقاً كثيرة منها ما نشير اليه هنا على سبيل الفكاهة والتبصرة

ان السرعة في اميركا تكاد تكون خمسة اضعافها في اوربا فما قولك بالفرق بينها وبين الشرق ... الاميركي سريع في قدمه ويده ولسانه ونظره وخاطره . يمشي بسرعة ويعمل بسرعة ويتكلم بسرعة ويأكل بسرعة . اذا اردتَ ان تعرف كيف يتحرك الاميركي بسرعة البرق الخاطف فقف على جدار السفينة التي تُقلك عند اول ميناء اميركي تصله وانظر تلك الحركة الهائلة التي تخطف الابصار : يفرغون جبالاً من الشحن في اقل من ارتداد الطرف . بل قف عند اول محطة للقطارات اوالترامات وانظر الألوف من الناس كيف ينزلون او يركبون . او ادخل احد المعامل وانظر كيف يشتغلون . او ادخل الجامعات او الكليات او المدارس الابتدائية في اوقات اللعب وانظر كيف يلعبون . بل ادخل الى احد

المصارف مع مئات الداخلين وانظر كيف يكتبون ويحسبون ويقبضون ويصرفون وينهون اشغال الناس باسرع ما يمكن ان يتخيله الانسان . بل قف في محطة الترامات في سلك مئات من الواقفين وانظر كيف تتحرك الايدي وتُقطع التذاكر . بل قف على جانب الطريق حيث تأمن الصدمات وانظر الوف الترامات والدراجات والسيارات والعربات يكاد يثب بعضها فوق بعض . بل انظر الى الناس ، الرجال والنساء والشيوخ والعجائز والشبان والشابات حتى الاطفال كيف يشقون الطرق كالسهام المنطلقة . اذا رأيتَ ذلك لاول مرة بعد خروجك من الشرق فلا بدَّ ان يأخذك الدوار وتُصاب بالصداع وتلزم الفراش ثلاثة ايام على الأقل ... لا ترى الرجل في اميركا يمشي الهوينا يتهادى ذات اليمين وذات اليسار وهو يكاد يتعثر بأذياله لا يرى عربة اوحصاناً او عصفوراً او ورقة شجرة او غير ذلك الا اشرأبَّ عنقه ووقف ينظر بمجامع عينيه ، لا يرى تجمعاً الا دسَّ نفسه فيه وتحرش بما لا يعنيه . لا يرى حسناء مقبلة من بعيد الا ساخت اقدامه في الارض وجمد في مكانه لا يتحرك . وجعل يصوّب نظره ويصعده من رأسها الى قدمها ثم من قدمها الى رأسها مراراً . واذا جاوزته أتبعها نظره وقلبه الذي يحمله في كمه لا في صدره ولا يلفت رأسه الا وقد زاغ بصره وتشنجت عضلات عنقه . لا ترى في اميركا كلها محل قهوة يجلس فيه الناس الساعات الطوال يدخنون وعلى وجوههم علائم التأمل والتفكير كأنهم فلاسفة هذا الزمان واساطين السياسة فيه . لا ترى الرجل يلقى صاحبه في الطريق فيستوقفه ثم يصافحه كأنه لم يره من أمد بعيد ثم يبادله المجاملات الكاذبة الطويلة ثم يسأله من اين انت آت ، والى اين انت ذاهب واين صرفتَ ليلة أمس ، واول من أمس الى غير ذلك من الاسئلة البليدة . بل بلغت منهم السرعة ان عندهم مطاعم يطلق عليها اسم «الغداء السريع» لا ترى فيها كرسياً وانما يتناول الناس فيها طعامهم وقوفاً وقد يخرج الواحد منهم واللقمة في فمه ...

اذا كانت درجة الحياة في الامم تقاس بالسرعة كان لاميركا التفوق على الامم كلها في نشاطها وقواها الحيوية . الاميركي سريع اولاً لانه نشيط قوي الاعصاب مرهف الذهن . وثانياً لان الوقت عنده اثمن منه عند كل الامم . وثالثاً لان هنالك نظاماً محكم الحلقات والحركات مضبوطاً بالشكل الكامل فأقل ابطاء او تهاون او غفلة يوقع خللاً كبيراً . ورابعاً لان قيمة الشخص عنده انما تتوقف على قدر همته ونشاطه واجتهاده ونفعه ، لا على حسبه ونسبه . والشرقي اذا عاش في ذلك الوسط الحي النشيط الراقي مهما كان بليد الطبع فاتر الدم بطيء الحركة مسترخي الجسم ساقط الهمة فلا بدَّ ان تسري اليه عدوى السرعة فيتحرك ولو كان بدون عمل

خليل السكاكيني



أعذر من أنذر

لا بدَّ لكل امة تُكتب لها الحياة ، فتنطلق من قيود التأخر وتنهض مع الناهضين ، من ان تُرزَق رجالاً ذوي اخلاق راقية ومبادئ سامية ودم يغلي بحب الوطن ونفوس طُبعت على الايثار ونكران الذات ، وان يُتاح لها من بنيها اعضاء عاملون يختصها كلٌّ منهم بما منحه الله من فضل وعلم وبسطة وموهبة . فيتحفها هذا بعلمه او بماله ، وذاك برأيه وذلك بفنه ، واخر ببسالته ، وغيره بذكائه ومعارفه ، الى غير ذلك مما يتألف منه مجموع قوىً تدفع الامة الى معارج الرقي وتسير بها في جدد الفلاح وبهيع السبق . وذلك شرط لا بد

منه وسبب لا مندوحة عنه اذا أُريد للامة الحياة والاستقلال ومنعة الجانب ونفوذ الكلمة والتخلص من كابوس الاستعباد والسيطرة. والأ كانت خليقةً بان يُهيأ لها النعش والاكفان ويستغفر لها كلُ مستعيذ بالله من شر الخمول وآفة التواكل وعاقبة الجمود ونتيجة الغفلة

في كل يوم لنا عبرة. وفي كل يوم مثال للجد والنشاط والحمية والكرم يُحتذى لو كنا من السامعين الواعين. ولكنا مهما هزّتنا العِبَر واستحثتنا الامثلة نظلُّ حيثُ نحن من الجمود وقلة الاكتراث للحياة الحقة وعدم المبالاة بمصير هذا الوطن المرزّأ الذي وكَلَه اهله الى رحمة الاقدار، فكادوا يضيعونه بشغلهم عنه في ارضاء انانيتهم الخرقاء وضنهم عليه باداثه حقه عليهم ولهوهم بالتفرّق والانقسام

يتبارى ابناء الامم الحية في مضمار خدمة بلادهم وينافسون في اتيان المعجزات لتقوية وطنهم ويأتون بالغرائب لإعلاء شأنهم القوميّ ويحرقون كرّيات ادمغتهم تفكيرًا وجدًّا وانكماشاً في ايجاد المنافع لدولتهم ويجهدون قواهم ويضحّون اموالهم وحياتهم الفرديّة في سبيل حياة امتهم. ونحن نسمع بذلك كله ونراه كأننا تماثيل رخامية خلت من كل سمع وبصر وبصيرة

قلت نظلُّ حيث نحن من جمودنا الغريب. ولعله من نوع ذلك الجمود الذي يعتري المرء من دَهش حين تفاجئه المصائب وتتداوله النائبات. لكنني مع محاولتي التعليل لا اراه منطبقاً على ما يبدو من ظواهر الامر ولا مما تؤيده اقوالنا. نعم ان الكوارث تناوبت على بلادنا وتعاورتها الارزاء، ولكن ظاهر حالنا يدل على رباطة الجأش واستجماع القوى الفكرية والبدنية. ألم تطبّل بذلك جرائدنا؟ او لم ترمِ به خطباؤنا؟ ألم يتغنّ به شعراؤنا؟ ألم يدعُ ملأنا نزالِ؟ أو لم نناد بالخصم

نحن الأُلى فاجمع جمو عك ثم وجههم الينا؟

اذن يستحيل ان يكون جمودنا من نوع الدهشة والوجوم. كما انه يستحيل ان يكون من رباطة الجأش، ونحن نرى البلاد مهدّدة بالسيطرة، مهدّدة ببيعها كالسلعة من قوم عافتهم الامم ونبذتهم الاقطار وتبرّمت بوطأتهم الامصار. فمن الثابت اذن ان جمودنا متأتٍ عن عدم شعور بالوطنية شعورًا صادقاً، وعن عدم اكتراثٍ لما يحل بالبلاد. ولكنا نحاول ستر خلّتنا بالرياء نلتحف به، والدعوى العريضة نموّه بها، والتبجّح بالوطنية نضلّل به. وقصارى ما نستطيعه في هذه الحال تنميق المقال، حتى اذا دهمنا خطب أُعددنا لدفعه القصائد ونحتنا القوافي، فقاتلنا بها قتال المستبسلين. واذا اعتنت الجُلّى أنشأنا الخطب متاريس، وعقدنا الاجتماعات للكلام (فقط) مجالس حربية. اما الافعال والاعمال وبذل النفائس والاموال – فتلك مسألة اخرى... فيها نظر

ولعمري إنّ من الظلم توجيه اللوم كله الى اصحاب القوة الادبية من مواطنينا الكرام، فهم والحق اولى ان يُقال قد وفّوا قسطهم وادّوا حق وطنهم عليهم، كلٌّ بحسب ما رُزق من فضل وعلم، وعلى قدر ما أُوتي من غنىً ادبي وغيرة، وان لم يسلم بعضهم من شطط ركبوا متنه، وغرور أطلقوا لاقلامهم الاعنّة في ميادينه، وتجاوز نكبوا معه نهج الاعتدال. وان كان مَن هو حقيق باللوم من قومنا فانما هم اصحاب القوة المادّية الذين امسكوها عن البلاد، وهي لاغنىً لها عن عونها في مواقف تنازع المصالح ولا مندوحة عن التحصّن بها في مواطن الدفاع عن الحقوق، وقد اكتنفتنا الصعاب من كل حدب وتألّبت علينا الاطماع من كل صوب، حتى بتنا اكلة لكل شره وغرضاً لكل مطماع. وهو معلوم

ان سلامة اي بلاد لاتقوم الا بالقوتين جميعاً ، المادية والادبية ، اذ بهما معاً تتكافأ الكفتان وتتعادلان ، فتحصل الموازنة في تصريف الامور ، فلا يتطرَّق اليها الخلل ولا ينال حميدَ المسعى فشل . اما اذا انفصلتا وتدابرتا واخذت كلٌّ منهما في طريق فقد اخطأتا مواطن الصواب وضلتا وجوهه ، فكان مَثلهما مثل المفتاح ضاع قفله ، والقفل فقد مفتاحه ، وكان مَثلُ البلاد مثلَ الطائر سَلمَ له جناحٌ ورُزئ بجناح ، فهو ابداً عاجز عن الطيران

ولا حاجة الى القول ان قعود ذوي السعة منا عن تأدية الوطن حقه ولزومهم الوقوف وقفة مَن لا يعنيه شأنه تفريط يؤخذ عليهم ، بعدما ارهقوا خاصة الكتاب جهداً في التماس تلافيه وأبطروهم ذرعهم في استكمال الذرائع الى مداواته ، بما بذلوه من خبر واخلاص وحمية ونشاط واجتهاد في تبيين الحال والتبصير بعواقب الغفلة ، حتى جاوزوا حدَّ المستطاع في مناصحتهم وتحذيرهم ، رجاء ابلاغ العذر في خدمة الامة ، وقضاءً لما يفرضه عليهم من حق الوطن اضطلاعهم بالامور وعلمهم بمواطن الخير ولواحق المحذور ، ضناً بالمصلحة القومية وصوناً لها من نوازل المكروه التي تهددها بين كل صباح ومسائه ، ويتزايد على مرّ الايام خطرُها ويتفاقم خطبها . كل ذلك والموسرون منا مقيمون على الاستهانة بغبّ امرنا ، ملازمون جمودهم ، متشاغلون بما لا يُرجع منه الى فائدة عن كل عظة منهنهة وعبرة زاجرة ، لا ينضون بقطرات من جسيم ما ينفقونه في لذاذاتهم واهوائهم ، حتى قلَّت في تقويمهم حيلة كتّابنا ، وكادت اصوات نصحائنا وخطبائنا تنقطع بما توالى من ندائهم وتلاحق من صيحاتهم ولمّا يبلغوا من تبصيرهم وتنبيههم مبلغاً تُرجى معه الهداية الى ما زوّته عنا شقاوة جدّنا من سبل الفلاح

وهي حال ليس بدعاً ان يُسقط بها في يدنا ويُفتّ في عضدنا وان يساورنا اليأس بما وقع في نفوسنا من وهن وخيبة وجزع ، ونحن في احرج موقف ، وعلى حين نرى الطامعين المتحفزين يجازفون الكيل ببذلهم القناطير المقنطرة ، انجاحاً لمقاصدهم وتعضيداً لمساعيهم وإحرازاً لمعقد اوطارهم ، ناهيك بما أعدوا من الاسباب وما استكملوا من العُدد في جهادهم مما يجدر باهل السعة والثراء من مواطنينا أن يموه بأحلامهم ويعتبروه بافهامهم ويتدبروه بآرائهم ويقوموا بما هو خليق بهم وفرض عليهم ، فينفق كل ذي سعة من سعته ، فلا ننكفئ من هذا المعترك العصيب بذلة الخائبين ، والاّ كانت التبعة لا محالة واقعة عليهم وعاقبة بغيهم على الوطن لاحقة بهم . وليعلموا أرشدهم الله أنَّ من الفرص ما لا تتسع معه فسحة التردد والاستمهال ، فهذا اوان العمل لنصرة الوطن ، وهو أضيق من سم الخياط . فان يخذلوا الوطن العزيز وينبذوا تعضيد القائمين بأمر الدفاع من اصحاب القوة الادبية عندنا ، وهي نصف العدَّة ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

جورج مني



خطيبة مصارع الثيران

« رواية »

بينا انا سائر في احد شوارع برشلونة مرت بي فتاة مسرعة فسقطت مروحتها من يدها فالتقطتها وناولتها الصبية . فوقع نظري على عينين كانهما شعلتا نار . عيني عاشقة يفتن بريقهما . وشفتين حمراوين ووجه صافي الاديم تحدق به ذوائب كثيفة من شعرها الاشقر . وقد اسمعتني لما شكرتني صوتاً رخيماً حسبته انشاداً

فأثر بي جمالها وحدة نظرها والتمست منها بتادب ان تسمح لي

يرافقتها ففعلت. ولم اكن احسن التكلم باللغة الاسبانية ولكنني كنت افهمها فلا ينِدّ عني الا النزر من الحديث. فسرنا تحت ظلال الاشجار القائمة على جانبي الشارع وقد سحرتني ريتا (اسم الصبية) بسذاجة حديثها وحرية كلامها كما سحرتني بجمالها وحركاتها واساليبها. فلم تلبث وقد شعرت مني بميل اليها ان ردَّت تلطفي واعلمتني ان مجاملتي لها لا تثير فيها الا عواطف الصداقة لانها قد اصطفت حبيباً لها وهي مزمعة ان تقترن به قريباً. فخيب هذا الاقرار املي. بيد اني رغماً عن ذلك صحبتها في عربة الى برشلونيت وهي بلدة صغيرة يقصدونها للاستحمام. وكانت تسكن هناك بيتاً قائماً كمرصد على مسافة خطوات من البحر المتوسط. فغادرتني ولكن تذكار تينك العينين الكبيرتين المشتعلتين كان يتبعني ايان توجهت. فأخذت اتردد كل يوم الى ذلك الشارع الذي صادفتها فيه واقصد منزلها اطوف حوله لعلي اراها ولكن بدون جدوى

فوقع نظري عليها اخيراً ذات مساء في زورق ورايت الى جانبها شاباً قوي البنية ضخم التقطيع وقد انحنى على شفتيها يلاطفها ويغازلها. فلم اشك في انه خطيبها. وكان البحر هادئاً وقد اخذت اشعة القمر الطالع تداعب الامواج القائمة. فخيل لي ان ذلك الزورق الذي ابتعد عن الشاطئ متمايلاً يحمل صورة السعادة وشعرت بقلبي الغيور يخفق في اثر ذلك الزورق. ولم يكن الا القليل حتى غاب عن نظري فبدا الليل لي حالك السواد وكأن الكآبة غشت وجه السماء

* * *

مضى على ذلك اسبوعان وكنت قد ذهبت لأشاهد مصارعة الثيران في احد ميادين برشلونة الكبيرة. وكان الوف من المشاهدين جالسين على الدكات غير مبالين بحرارة الشمس المحرقة يراقبون بانتباه كلي تقلبات تلك المبارزة غير المتساوية بين الحيوان والانسان. ولما انتهى الفصل الثاني وصدحت الموسيقى بنغم الصراع المشهور اقبلت سيدتان وجلستا على مقربة مني. فما اعظم ما كان تأثري عندما رايت ان ريتا حبيبتي احداهما. وقد بدت لي تحت وشاحها الاسود اجمل من قبل. واتجهت اليها انظار المعجبين وسمعت البعض يتهامسون: يا لها من فاتنة! وكان وجهها يتلألأ بشراً يزيده الفرح الداخلي جمالاً. ولما وقع نظرها علي ادركت امنيتي فتبسمت بلطف ورنت الي بعينيها الساحرتين كانها تدعوني اليها. فبادرت الى جانبها فعرفتني بوالدتها ودعتني بلهجة يمازجها شيءٌ من السخرية الى حضور حفلة زفافها التي تقام في اليوم التالي وقالت:

— خطيبي هو خوسه غالدو

— خوسه غالدو مصارع الثيران الشهير؟

— هو بعينه

وكان اسم هذا الرجل معروفاً عند الجميع وقد دعاني ما بلغني عنه من الحذق والجرأة ان اجيء الى ميدان الصراع لاتأكد اذا كان يستحق تلك الشهرة

ولم اعد اكترث بالمصارعة لان وجود ريتا في جانبي قد اثر علي جداً. ودعوت لها بالتوفيق والسعادة مع علمي بان زواجها سيقضي على كل امل لي باكتساب ودّها. ورايت ان حضور حفلة الزفاف ليس بالتعزية الكافية

* * *

ولما فتح باب المربض وبادر ثور هائل الى الميدان جائراً بعد ان قتل من الثيران اربعة علمت من قلق جارتي ان دور خطيبها قد اقبل. وكان الثور قد بقر حصاناً وجرح احد الفرسان الذين كانوا يطعنونه بالحراب لتهييجه ووثب فوق الحاجز عندما اشعلوا السهام المقطورة الناشبة في جسمه. ولما عيل صبر المشاهدين ظهر خوسه غالدو فقابله الجمهور بالهتاف والتصفيق وعرفت به ذلك الرجل الذي رايته في الزورق مع ريتا. وكان شاباً جميل الطلعة مستحكم الخلقة معجباً بنفسه عليه ثياب موشاة بالذهب. فوقف هادئاً عابساً يقابل صدمات الحيوان بثبات مقدماً له قطعة من نسيج احمر ملتوياً عنه محاذراً قرنيه ولما قتل الحيوان بضربة محكمة من سيفه بلغ اعجاب الجمهور حدَّ الجنون وجعل الرجال يصيحون ويلقون عصيهم وقبعاتهم والنساء ينثرن الازهار والاثمار ويشرن اليه بالقبلات. اما هو فان انظاره لم تتحوَّل عن ريتا التي التفتت الي شاحبة الوجه ترتجف ويكاد الفرح يودي بها وقالت: حمداً لله فانني كنت في خوف من وقوع حادث ميّ. فقد حلمت هذه الليلة ان زفافي يحتفل به في كنيسة برشلونيت والكاهن يباركنا واذا بهرّ اسود قد وثب على كتفي وعضني في خدي فصرخت من الالم وانتبهت مذعورة. ولا ريب ان هذا الحلم مشؤوم وقد خفت خوفاً عظيماً ولا ازال اشعر به. فمن الحيف ان تحل بنا مصيبة عشية عرسنا. ومع ذلك فانني في غبطة لانه وعدني الاّ يتعاطى مهنته قبل مضي

سنة . فان خوسه غالدو اجمل الرجال واحذقهم واشجعهم سينقطع لي وحدي مدة سنة كاملة

قالت هذا وجددت دعوتها لي لحضور زفافها ووقفت مستعدة للرحيل منتظرة خطيبها. فأقبل هذا يطفح وجهه بشراً وقد زاده المجد والحب جمالاً . فخشيت ان ازعجها في الحديث وحولت انظاري الى ميدان الصراع حيث كان الفرسان يطعنون بحرابهم ثوراً سادساً ذا قرنين طويلين معقوفين. ولم يلبث المشاهدون ان صاحوا طالبين قتل الحيوان. فأقبل على الثور رجل من المصارعين وحاول عبثاً ان يهيج الحيوان الذي كان كانه فاقد الشعور. فصاح به الجمهور: اقتله. اقتله! فهجم الرجل على الثور وعلاه بالسيف فأخطاه وضربه ضربة ثانية فنبا السيف عن عظم الجمجمة. فبلغ سخط المشاهدين اشده. وحدث وقتئذ امر خارق فان الثور ظل واقفاً لا يتحرك معرضاً راسه كانه ينتظر الضربة القاضية مقابلاً مصارعه وجهاً لوجه. فضربه هذا للمرة الثالثة والرابعة فلم ينل منه غرضه. وعندها ثار ثائر الجمهور ودوى الميدان بالشتائم والصراخ والضجيج وظل الرجل في وسط الميدان وحيداً شاحب الوجه مرتعشاً يتلقى الضحك والاحتقار والاهانات التي امطرها عليه الجمهور الساخط

وطلب المشاهدون في نهاية الامر مصارعاً آخر يجهز على الحيوان فما كان من الرجل المسكين ان انقض للمرة الخامسة على الثور بحنق فوقع السيف بين قرني الثور وانكسر. فلم ار في حياتي نظير ذلك الفوضاء الذي ثار وقتئذ. فان الجمهور استولى عليه حنق اشبه بالجنون وهجم البعض على مقام الرئيس. ولما انسل الرجل المصارع مخزياً دون الميدان بصراخ الجمهور :

— خوسه غالدو! خوسه غالدو!

وكان خوسه غالدو ينظر الى الميدان مبتسماً هادئاً. ولما تضاعف الضجيج بدت منه حركة وهمّ بالنزول الى الميدان. غير ان ريتا تعلقت به وامسكت بيديه وقالت له بصوت منسحق : لا اريد لا اريد. انني اتوسل اليك يا خوسه الاّ تفعل

وبعث اليه الرئيس رسولاً في طلبه فاجاب ان ذلك الامر لا يعنيه ولا يتدانى اليه. وعلا الضجيج في غضون ذلك وردّدت الوف من الافواه الحانقة اسم المصارع الشهير. فظل خوسه متردداً الى ان سمع البعض بالقرب منه يقولون : ايتردد خوسو غالدو خوفاً ? فلم تمض على ذلك دقيقتان حتى كان في وسط الميدان بين هتاف الحشد وتهليله.

واقبل تواً على الثور وحدجه ببصره هنيهة واغمد سيفه في عنقه. فاضطرب الثور وهوى الى الارض. فدوى هتاف وتصفيق هائل متواصل. وعندئذ خطا خوسه غالدو خطوة وامرّ يده على منخري الثور المحتضر ملاطفاً والتفت الى خطيبته كانه يهديها تحيات الجمهور وهتافه. وكانت ريتا واقفة باسطة اليه ذراعيها بهيام. وما لبثت ان هبطت على مقعدها وصرخت صوتاً هائلاً علا كل ذلك الضجيج وساد على اثره ذهول عام. فان الثور المحتضر قد بدت منه قوة منتقمة وانشب قرنيه في خوسو غالدو وخرّ الرجل والحيوان صريعين على الرمل الملطخ بالدماء

***

وذهبت في اليوم التالي الى برشلونيت. وكانت زوبعة شديدة قد ثارت في الليل ولا تزال تزمجر. والمطر ينهمل والسحب المنخفضة تمر على مهل كانها الماشية اصابها التعب والكلال والبحر الهادر تندفع امواجه على جدران المنزل الصغير القائم هناك كمرصد على الشاطئ. وكانت الريح وهي تدوي تسمع صوتاً كانه البكاء والعويل. ورايت ولدين شعثي الرأس حافيي الاقدام عليهما ثياب رثة يلعبان في الوحل. ولما مررت بالقرب منهما سمعت احدهما يقول. ان ريتا خطيبة خوسو غالدو الشهير سيتلطخ ثوبها الجميل بالوحل. فدخلت الى منزلها ورايت نساء ينتحبن وغيرهن يتهامسن مصعدات من حين الى آخر زفرات حارة

— تقولين انها انتحرت بطعنة خنجر في قلبها

— تكاد امها تصاب بالجنون

— يا لها من مصيبة في يوم زفافها

فثبت لدي ان ريتا حبيبتي قد انتحرت فلم اقو على رؤية جثتها وظللت مدلها تفيض عيناي بالدموع السخينة. وشعرت بضعف في صدري وغشى الحزن على بصري وسمعي فكنت اكاد لا افهم ما يقال حولي

— لا تمسحي الدم عنه ريثما ياتي رجال التحقيق

— هذا الخنجر هدية من خوسه غالدو

وكان سلاح الموت الملطخ بالدم بالقرب مني. وجاء بعض الجيران باكاليل من الزهور وبقيت وحدي. ولا ادري ما الذي اصابني وقتئذ غير اني سرقت ذلك الخنجر وهو صغير الحجم قبضته من الخشب المنقوش مرصعة بالذهب. ومن عادة النساء الاسبانيات ان يحملن مثله ... وقد حافظت على ذلك الخنجر طول حياتي ...

انطون شكري لورنس

كذا كان

تراءت له على مستشرف حجرتها صبحاً ، حين لم يلقِ عن اعطافه ثيابَ الكرى ، والصبح كبسمة الرضى على الثغر الالمى ، والروضُ كالامـل الغضّ في الفؤاد الفتي . فلما اعتدلت في نظره جانست محاسنُها محاسنَ الوجود ، فترامى اللحظـان ، وتناجى القلبـان ، وطارت رسائل الوجد بين الروحين على اجنحة الزفرات تبعث حنيناً وانيناً وهياماً شديداً . فذلك حيث يقول شاعرُ الخيال شوقي بك :

نظرةٌ ....

ثم توالى كرورُ الإصباح ، وكما تكبر الاجساد تكبر الارواح ، وكما تكبر الارواح تكبر الصبابات ، واللواعجُ ثمارٌ تُسقى مغارسهـا بالدموع ، والشبـابُ خصبٌ تنضج به اللواعج ، ونسمات السَحر تُغري الاشواق ، ووجه الربيع يزيد الجرأة على الفتنة . واذا طال تعارُضُ الوجهين ، وتقابُلُ النظرين ، جاءت طمأنينة تمسك الروح ساعة اضطرابها ، فتألق لها على الشفتين بارقٌ أفترّ عن مثل الدرّ المنظم . فذلك حيث يقول شاعرُ الجمال :

... فابتسامةٌ

ثم استمرّ الغرام ، وتراضى القلبان ، وأذِنَ كلٌّ لصاحبه بما أذن ، فكانت حاجة الى الاعلان ، فارتفعت يمينٌ كورقة الآس ، أمرّتْ على جبين كنفس الطفل . واذا في الوجهة المقابلة رأس ينخفض اجلالاً وخشوعاً . وكذلك يضرع المطيع للمطاع . فذلك حيث يقول شاعر الالهام :

... ... فسلامٌ

ثم نما الهوى وأرباه التراضي ، فاشتاقت الآذان الى مثل حظ الاعين ، ولا بدَّ لِما يسرُّ من الاعلان . فتساجل الشكاية صريعاها ، وقام اللسانان سفيرين عن القلبين . هنالك حلاوة تمازجها المرارة ، وراحة يتخللها التعب . وللوجد بيان لا تركبه الفاظ ، ولا تؤدّيه عبارة . فيهما فاض ماء النفس من الثغرين المتباعدَين . فذلك حيث يقول شاعر البيان :

... ... فكلامٌ

ثم تعارضت في الروحين قوّتان من السلب والايجاب ، وقمت شرارتهما على الحسّ فاضطرم . غير ان الحكمة اطفأت ذاك الأُوار ، والصبرُ في اوائل الصبابة يغلب عليها ، فتعالج المحبّان بالاماني . وما زالا يتراضيان بالرأي حتى غلبا عليه : فاستثار الشوق كمينَ النفسين ، فاتفقـا على التداني . فذلك حيث يقول شاعر الحب :

... ... فموعدٌ

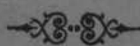
فلما بلغ الامرُ اقاصيَه ، وعصفت شرّةُ الشباب بالرأي والجلد فاستطارتهما ، ضرب الصبّان على سلاسل الأسر فتساقطت حلقاتها في صلصلة تصمُّ الآذان ، وانطلق سهيلٌ يطلب الثريّا ، وضمُّ الروحين عناقٌ هو خاتمة السعادة والشقاء .

لله انت يا شوقي بك ! اذ تقول :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

هذه رواية الغرام في بيت واحد ، لو نطق به الدهر لتاهت به صروفه

ولي الدين يكن



الاوراق المالية

بحث اقتصادي تحليلي

انواع الاوراق المالية . الاوراق القابلة التبديل . خصائصها . منـافعهـا . لخطارها . تأثير هذه الاوراق على النقود

(المسكوكات). علائم الزيادة . علاقة المقدار بالثمن . تأثيرها على الاسعار . ما يؤخذ من التدابير لحفظ اسعارها . مضار الاوراق غير القابلة التبديل . منافعها المالية . مقاصد اصدارها . بعض نظامات

ليس لمن يتصفح الجرائد الاوربية الان الا ان يقف ذاهلاً امام الارقام الهائلة من الاوراق المالية التي اصدرتها الحكومات المحاربة لسد نفقاتها وآراء الكتّاب المتضاربة فيما يجب عمله بهذه الاوراق . ولما كان هذا الموضوع في غاية الاهمية احببت ان ابين لقرّاء النفائس شيئاً عن انواعها وخصائصها وتأثيرها عموماً فاقول :

ان فكرة استبدال النقود (المسكوكات) بالاوراق المالية ليست حديثة كما قد يتبادر الى اذهان البعض لاول وهلة . فقد عرفها القدماء فاستخدموا الجلود واوراق الشجر وتداولها الصينيون منذ القرن التاسع . ولا يبعد ان يكون البابليون والاشوريون قد عرفوها ايضاً

وهذه الاوراق على ثلاثة انواع :

الممثلة او النائبة Representative

القابلة التبديل Convertible

غير القابلة التبديل Inconvertible

فاما النائبة فهي بمثابة وصل او سند يدل على انه قد وُضع مايقابله نقداً . وهي تُدفع للطالب في اي وقت شاء . وهذا النوع يفضل على النقود لسهولة استعماله وقد تصدره الحكومات او المصارف

والاوراق القابلة التبديل تصدرها الحكومات او الشركات او الافراد وتتعهد ان تغيرها الى نقد في حال ابرازها بلا تأجيل . ويجب ان يحفظ في الصندوق ما يقابلها ذهباً . فان كان ضمانها اراضي او غيرها فهي غير قابلة التبديل

واما الاوراق غير القابلة التبديل فهي التي لا تدفع قيمتها نقداً عند الطلب . وربما أصدرتها الحكومات او المصارف . وهي اما ان تكون عن اصل قابلة التبديل فأصبحت غير قابلة له وذلك لافلاس او تأخر من أصدرها . او تكون قد أُصدرت ولم يُقصد إبدالها ابداً . وحينئذٍ تسمى الاوراق الجبريّة وهذان القسمان يختلفان بكيفية اصدارهما . امانتائجهما فواحدة . وقد تُصدر الحكومات هذا النوع من الاوراق فتضمنه باراضٍ او ضرائب . وربما أصدرته بدون ضمان وهي تجبر الاهالي على تداولها دون ان يكون لهم ارتياح الى قبولها . وقد تتداول الاهالي هذا النوع لانه الوحيد او لان مقداره محدود فيضطرون الى تداوله مضطرين لا مختارين

ولهذه الاوراق منافع واخطار . اما منافعها فهي انها توفر ما يُصرف في استخراج الذهب والفضة . وعند استعمالها تحوّل النقود الى الخارج (بحسب نظرية جريشام وسنرى سبب ذلك) حيث تُستخدم في المنافع . هذا بشرط ان لا تستبدل كل الممالك نقودها بالاوراق دفعة واحدة فحينئذٍ لا تُستخدم النقود في الخارج لان الورق يكون قد حلّ محلها . ثم ان استعمالها يوفر ما تتعرض له النقود من النقصان بسبب التداول . ولا شك ان الخسارة جسيمة من هذه الجهة . وزد على ذلك ان الاوراق اسهل للحمل ومصاريف نقلها رخيصة وامينة

اما منافعها المالية الاميرية فهي ان الحكومات تلجأ الى اصدارها عند سقوط الثقة المالية بها وعدم وجود مَن يقدم لها المال او عند ارتفاع الفائدة . ولا مشاحة في ان اسعار العملة الذهبية اثبت منها وان تداول الاوراق يرجع الى ثقة الاهالي بالحكومة التي تصدرها ، بخلاف الذهب الذي يقبله العموم . ومن هنا يظهر ان قبول هذه الاوراق محدود ، فهي اذاً عملة

وطنية. ولما كان محيط قبولها ضيقاً اقتضى ان يكون الطلب عليها مختلفاً ولذلك تختلف اسعارها. وايضاحاً لهذه النقطة المهمة اقدم هذا المثل: راجع سعر الخضرة في سوق اي بلد كان ترَ ان اسعارها تختلف كثيراً من يوم الى يوم ومن اسبوع الى اسبوع اختلافاً فاحشاً بخلاف المواد الغذائية او الملابس التي تُجلب من الخارج والتي يتساوى سعرها في جميع انحاء العالم كالحنطة والارز والسكر مثلاً فان اسعارها تكون أثبت وذلك لان مجال الوارد والصادر اوسع في المواد التي يتقرر سعرها في اسواق العالم. وهذا طبعاً يصدق في الايام الاعتيادية ايام السلم. اما هذه الايام فليس هناك قانون ثابت وذلك لصعوبة المواصلات وقلة الإنتاجات والمشاكل السياسية التي تؤثر على الاسواق التجارية فتختل ميزانيتها. هذا فضلاً عن ان زيادة هذه الاوراق لا تكلف الحكومات شيئاً يُذكر بخلاف الذهب. وهذا هو سبب اختلاف اسعارها

ان البلاد التي تتداول النقود ترتفع فيها اسعار الحاجيات عند زيادة كميتها. ولكن الزيادة هذه تُحوَّل تدريجاً الى الخارج. واذا نقصت النقود يجلب اليها من الخارج. ولكن البلاد التي تتداول الاوراق الجبرية ليست كذلك فان التجارة فيها تجمد ويقل الطلب على الدراهم وربما سقطت الاسعار ومع ذلك تزداد كمية هذه الاوراق. على انه متى ابتدأت البلاد في التداول بالاوراق تُنحَّى النقود من التداول فاما ان تأخذها الحكومة لسدّ مصاريفها او تذهب للصنائع او تُحشر في خزائن الناس الى امدٍ او تُصدَّر فتدفع عن الديون الاجنبية

واذا لم يزدد الطلب على العملة عند الشروع في تداول الاوراق الجبرية تحتجب العملة الذهبية. فاذا زاد فان النقود لا تختفي بهذه السرعة. ولكنه اذا استمر في ازدياد واستطاعت الاوراق ان تسدّه (الطلب) وحدها يُجمع حينئذٍ النقد او يُحشَر او يصدر الى الخارج ويصبح التداول كله بالورق بلا خوف ولا ضرر الاّ اذا زاد عن النقود التي حلَّ محلَّها. ومعلوم ان الورق يختلف عن الذهب والفضة بانه لا يُصدَّر ولا يُستخدم في الصنائع ويمتنع التجار الاجانب عن قبوله. وعلى هذا فهو يزداد بعد احتجاب النقود ويجتمع كما تجتمع المياه في المستنقعات

اما علائم الزيادة في اصداره (الورق) فتُعرَف عند وضع التمتع على الذهب (Premium) لان التجارة الخارجية تظل باعتبار الذهب فتضع المصارف (البنوك) تمتعاً على الذهب بزيادة فئة المبادلة الاجنبية (الكمبيو) وذلك بان يزاد على الحوالات في المئة بنسبة سقوط الورق في ذلك المحل. وهذا طبعاً يؤخر التجارة الخارجية في البلاد لان التاجر الاجنبي يرفع فئة التبادل ليعوض بذلك عن التمتع الذي وُضع على الذهب. اما التاجر الوطني فيخسر بذلك ولكنه يضطر ان يعوض عن خسارته بزيادة اسعار بضاعته بالعملة الورقية

ومما لاريب فيه انه متى احتجبت النقود تصبح الاسعار باعتبار الاوراق فكلما هبطت هذه ارتفعت تلك. فان كانت زيادة الاوراق عن النقود قليلة فقد تبقى اسعار الحاجيات اوبعضها على حالها وذلك بقوة العادة. واذا كانت كمية الزيادة كافية لرفع التبادل الاجنبي قليلاً فيمكن حينئذٍ ان لا ترتفع الاسعار عموماً. واما اذا وضع التمتع على الذهب ويفهَم ذلك من ارتفاع التبادل فحينئذٍ يُستدَلّ ان الاوراق بدأت في الهبوط وان الاسعار في البلاد التي ظهر فيها ذلك سترتفع عن اسعار العالم

وتتوقف قيمة الاوراق على عكس كميتها. اي اذا زادت ضعفين سقطت قيمتها حتى النصف هذا بشرط ان

تبقى الصادرات والواردات في السوق ثابتة . وكذلك سرعة تداول العملة . على ان الاحوال لا تكون عادةً ثابتة . فقولنا ان قيمة الاوراق تتوقف على كميتها ليس صحيحاً تماماً لان سعرها يتوقف على ثقة الناس بدوام قبولها . ولا شك ان هذه الثقة تضعف كلما زادت الكمية . فاذا كان السقوط بطيئاً وعادياً تتعدَّل الاسعار بحسب هذه الزيادة . واما اذا كان السقوط سريعاً فلا شك ان ثقة الاهالي بها تضعف وتسقط اسعارها سقوطاً فاحشاً . قال السكرتير سيش : ان مجرد دفع الرجل مئة ريال ثمن غداء ، كما كانت الحالة في اميركا عندما اصدرت الحكومة الاوراق في اول ايام الحرب الاهلية ، ليُضعف ثقة الاهالي بها فتسقط قيمتها غير متناسبة مع زيادتها

ولا شك ان زيادة كمية الاوراق في كل مملكة تكون باعثاً على ارتفاع الاسعار في العالم كله . اذ لو فرضنا رفع النقود من التداول وابدالها بالاوراق دفعةً واحدة فلا تتغير الاسعار . ولكن لو استعملنا الاوراق وحوَّلنا النقود الى الخارج دفعة واحدة ايضاً فان الاسعار حينئذٍ ترتفع هناك لكثرة النقود . لكن الحالة الطبيعية ليست كذلك . فان النقود انما تحوَّل تدريجاً اما الى الصناعة او الى الخزن . ولا شك ان قيمة الذهب تسقط في تلك المملكة لعدم التداول به . اذاً فيمكننا القول بان الاسعار في العالم حينئذٍ تميل الى الارتفاع . وعلى مقتضى فرضنا الاول ان ما نحتاجه من الاوراق بدون ان نحدث تغييراً في الاسعار يكون بقدر النقود التي حلت محلها . لكن لما كانت النقود لا تختفي بل تغيّر سيرها رافعةً الاسعار اذاً فمقدار ما يجب ان نصدره من الاوراق بدون ان نحدث تغييراً في اسعار العالم يجب ان يزيد عما حل محله من النقود بقدر ما طرأ على التغيير في

في اسعار العالم

ويفهم مما مر ان ما يطرأ من اختلاف الاسعار في البلاد التي تتداول بالاوراق غير القابلة التبديل يرجع الى ثلاثة اسباب : (١) تتعرض اسعار بضائعها للتغيير كالبلاد التي تتعامل بالذهب وذلك لما يحدث على الصناعة والتجارة من الانقلابات والتحسن . (٢) تتأثر اسعار بضائعها من تغير قيمة الاوراق عندها باعتبار الذهب . (٣) مما يحسبه اصحاب الاموال من سقوط الاوراق في المستقبل بتنزيل قيمتها . .

وقد ترجع الحكومات احياناً الى قبول الاوراق الجبرية كضرائب لتحسين قيمتها . ولكن هذا التأثير وقتيٌّ ونسبيٌّ . فاذا كانت زيادة الاوراق على النقود بقدر دخل الحكومة حينئذٍ تكون الحكومة قد رفعت من التداول هذه الزيادة . بشرط ان لا تعيدها مرة ثانية وان تكون الزيادة مساوية للدخل . لكن اذا كانت الزيادة اكثر من دخل الحكومة فتكون قد رفعت من التداول قسماً قليلاً فقط

وكلنا يتذكر يوم عمدت الحكومة العثمانية الى هذه الطريقة فكانت تقبل الاوراق المالية كضرائب وفي ادارة السكك الحديدية ومصالح البريد . ولكن لما كانت كمية الاوراق المتداول بها اضعاف اضعاف دخل الدولة من جهة وكانت هذه الاوراق تُعاد مرة ثانية الى التداول من جهة اخرى لم تؤثر هذه الطريقة تأثيراً يُذكر . بل كنا نشاهد الاوراق في سقوط مستمر . على ان مجرد قبول الحكومة هذه الاوراق كضرائب لا يؤثر على قوة الاوراق المالية في الشراء كما بيَّنا سابقاً . ويقول البعض انه اذا كانت ثقة الاهالي قوية باستبدال هذه الاوراق اخيراً بالذهب فربما حفظت قيمتها ولكن ذلك ليس صحيحاً الا اذا كان هذا الاعتقاد يؤدي الى ادّخار هذه الاوراق فحينئذٍ ربما حفظت قيمتها بهذا

الاعتبار وليس كواسطة تداول

اما مضارها فلا تعد لان ارتفاع الاسعار يدخل الشك في الاعمال فلا يتأكد التاجر بقاء قيمة العملة ثابتة الى نهاية مقاولة البيع وتصبح التجارة مضاربة اشبه بالقمار منها بالاعمال الرزينة المبنية على حكم العقل . ويضطر التجار الى زيادة الحسم تأميناً لسقوط الاوراق فترتفع الاسعار ارتفاعاً كبيراً . وكأن هذه الحالة الغريبة تساعد على سقوط الاخلاق فتتهيج الرغبة في الغنى السريع وتصبح المعيشة الغالية من الامور العادية البسيطة وتزداد الاسعار الاسمية عما كانت عليه قبلاً فيحسب الناس انفسهم اغنياء ويسهو عنهم ان هذا الغنى هو اسمي لا فعلي . حتى اذا انقبض تيار هذه الاوراق عُكست الحالة فيصعب على الانسان ان يقتصد بعد ان تعوّد الاسراف وان يحسب نفسه فقيراً لسقوط الاسعار الاسمية وتكون نتيجة هذه الخسارة قتل الاعمال في ذلك المجموع . ثم ان اصحاب الاموال يضطرون لكثرة اختلاف الاسعار ان يقتصدوا حتى في اجور العمال . ولما كانت اجور هؤلاء لا ترتفع بنسبة ارتفاع اسعار الحاجيات فتزداد صعوبة المعيشة على العامل وتسوء حاله

اما المنافع المالية الاميرية لهذه الاوراق فان الحكومة تصدر بها قرضاً بدون فائدة فيضطر الاهالي الى احتمال هذا العبء الثقيل . لكن هذه الطريقة في وضع الضرائب ليست في شيء من الحق والمساواة لان الحكومة تصدر هذه الاوراق لسد مصاريفها غير ناظرة الى الكمية التي تحتاجها البلاد تجارياً ولذلك تهلك المشاريع ويقف دولاب التجارة . وقد شبهوها بكحول التجارة ، فان بخارها يصعد الى ادمغة اصحاب الامر في الحكومات فيسكرهم ويمنعهم من ابداء الاراء السديدة ويصبحون عاجزين عن ردع انفسهم عن اصدار اوراق غيرها

واما مقاصد اصدارها فان منافع الحكومة المالية هي السبب الاول . وقد غاب عن افكار الكثيرين ان منافعها هي موقتة محدودة ، وان لها حداً متى تعدته كانت ضربة على الامة واي ضربة . ومما يساعد على التداول بهذه الاوراق ان بعض المدينين يجدون فرصة مناسبة للتخلص من ديونهم ولكن ذلك ليس حقاً . وما دامت الطبيعة البشرية هي هي فانك لا تزال تجد كثيرين من امثال هؤلاء الساقطين الذين ينتهزون هذه الفرصة للتخلص من اعبائهم

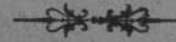
وقد عمدت الحكومات في السابق الى اصدار هذه الاوراق المضرة فاصدرت الحكومة الافرنسية الثوروية وبنك انكلترا كميات كبيرة بعد حروب نابوليون وكذلك المجلس الاميركي والحكومة الاميركية في الحرب الاهلية فسقطت سقوطاً فاحشاً . وكانت الاوراق الافرنسية على نوعين اطلق عليهما اسم (assignat و mandat) وضُمن الاول باراضٍ حجزتها الحكومة من الاكليروس ، ولكن ذلك لم يفد فسقطت اوراق هذا النوع لكثرتها وبلغت قيمة المئة فرنك منها ثلث فرنك ذهباً وكان هذا سنة ١٧٩٦ . ثم ابدلتها بالنوع الثاني وضمنتها باراضٍ معينة

اما في اميركا فقد اصدر المجلس سنة ١٧٧٥ عشرة ملايين دولار ثم اتبع ذلك بخمسة عشر مليوناً وبلغت هذه الاوراق في مدة اربع سنوات ٢٤٠ مليوناً . فسقطت اسعارها سقوطاً هائلاً وبالرغم عن تداخل العموم والمجلس لمنع ذلك فانها ظلت في سقوط حتى سنة ١٧٨١ فلم تعد تساوي شيئاً . وفي سنة ١٨٦٢ صادق المجلس على اصدار مئة وخمسين مليوناً . وبعد خمسة عشر شهراً اصدر ١٥٠ مليوناً اخرى وكان مجموع ما اصدره مدة الحرب الاهلية ٤٥٠ مليوناً . فسقط الدولار

واصبح يساوي خمسة وثلاثين سنتاً وذلك سنة ١٨٦٤ . ثم ارتفعت قيمتها سنة ١٨٧٩ لما اعلنت الحكومة عزمها على استبدالها ولا يزال قسم كبير منها الى الان

ورب سائل يسأل وهل من موجب يسوّغ للحكومات الغنية اصدار هذا النوع من الاوراق وتحديده بحسب ما يطرأ على قيمته من التغييرات ؟ فنجيب بالنفي لان الحد الوحيد للزيادة هو التمتع الذي يوضع على الذهب ، اذاً فيجب ان يحدد مقدار ما يصدر من الاوراق بحيث لا يوضع التمتع . وقد استعمل بنك فرنسا هذه الطريقة في حرب السبعين فنجح نجاحاً باهراً

احمد سامح الخالدي



نبذة من تطور الزراعة

عاش الانسان في الملاجئ الصخرية كالكهوف والمغاور وفي الغابات وعلى ضفاف الانهار وكان يقتات من صيد البر والبحر ومما تنبته الارض من فواكه واثمار وحبوب وخضار. غير ان الخلق في ازدياد وماتنبته الطبيعة محدود . فعمد البشر الى تكثير النباتات المثمرة وتدجين الحيوانات والاستفادة من البانها واصوافها وجلودها بالهداية والتقليد . فكان الانسان زرّاعاً واصبحت الزراعة والفلاحة من ضرورات معيشته

* * *

لا علم لنا بتطور الزراعة ، قبل بدء القرون التاريخية ، لانقطاع اخبارها عنا . الاّ اننا اذا تصفحنا تواريخ الامم القديمة نرى انها عنيت بالزراعة وان كانت لم تتعد حد الطفولية اذ ان الطريقة المتبعة في اصلاح الارض كانت بسيطة جداً ... لا محراث ولا مسلفة ، لا منكاش ولا ممشطة ، لا ادوات زراعية فنية تحرك بالبخار وتدار بالكهرباء . كانوا يخططون الارض بأعواد خشبية يحتطبونها من الغابات ، كانت الزراعة على حد ما نراه اليوم في طرقها المتبعة عند بعض الاقوام في اقاصي قارة اميركا الجنوبية واواسط افريقيا وجزر ماليزيا وبولنيزيا

غير أن الانسان بدأ يعيش مجتمعاً بالطبع والضرورة ويهتم بالزراعة حسبما تقتضيه طبيعة الاقليم واحواله المعاشية . وما الزراعة الاّ بداية التحضر ونهاية الهمجية فهي تربط البشر بالارض وتجمعهم في صعيد واحد

ولقد اخطأ من ظن ان الزراعة لم تتقدم في القرون البعيدة . تقدمت تقدماً محسوساً وان لم تكن مبنية على أُسس علمية : ادرك البشر ما للماء من التأثير الحيوي في استنبات اراضي الأقاليم الحارة فأنشأوا السدود والخزانات لخزن المياه وحفظها وحفروا الترع والقنوات في سهول النيل والفرات فانبتت نباتاً حسناً واعطت نتاجاً وافراً وازدحمت السكان في هذين السهلين ازدحاماً يسترعي الفكر ويوقظ الذهن اذ أن الزراعة تبعث على نمو السكان حتى قيل انها بلغت وقتذاك اربعين مليون نسمة كانوا في رغد من العيش ، انتقلت انواع شتى من النباتات والحيوانات الى اقاليم غير اقاليمها بسبب الفتوح والغزوات والعلاقات التجارية . فلقد نقل الاشوريون الى وادي الفرات نباتات جمة لم تنبت فيه من قبل . والعرب ادخلوا قصب السكر الى ديار الأندلس اول مرة واستنبتوه هناك كما ادخله كريستوف كولمبوس الى جزر الهند الغربية بعدئذٍ . ومما يروى من هذا القبيل ان البرقوق والخوخ وانواعاً كثيرة من هذه الفصيلة التي تنبت الان في سواحل البحر المتوسط قد نقلها الرومان من جنوبي القفقاس وشمالي الأناضول

نمت الزراعة ومشت مع الزمان وارتقت ، غير ان ارتقاءها

كان على غير نظام .. اذ لم يدر في خلد الامم الماضية ان تؤسس لها مدارس زراعية لاستنبات الارض واستدرار خيراتها وانا لتعرونا الحيرة وتستولي علينا الدهشة يوم يخطر ببالنا ان الاغارقة وتلامذتهم الرومان لم يعنوا بتأسيس المدارس الزراعية

واما العرب فقد نهضوا بالزراعة وساعدوا على تدرجها في مدارج الرقي وان لم يؤسسوا لها مدارس : نقلوا فصائل نباتات عديدة واجناس حيوانات جمة فاصبحت نباتات سوريا تُستنبت في العراق وشمالي افريقيا وحيوانات العراق تُستولد في بلاد الأندلس . ولم يقف العرب عند هذا الحد .. حفروا الترع العديدة والقنوات الطويلة واقاموا السدود والخزانات الهائلة لحفظ المياه واستنفادها كما ينبغي وفيما ينبغي .. وآثارها قائمة الى اليوم تنطق وهي صامتة بما وصلت اليه المقدرة العربية في تلك العصور

ثم اذا مشينا مع التاريخ نرى ان حروب القرون الوسطى قد حالت دون رقيها فما القرون الوسطى الا قرون الحروب والقلاقل ، قرون القسوة والاستبداد ، قرون العسف والظلم ، تلك التي ارجعت الزراعة الى الوراء ادهاراً . اذ لا شيء انفع للزراعة من السلام والحرب آفة تسطو عليها فتجعلها عدماً .. وداس الطامعون بسنابك خيولهم جنات الارض فتخربت الرياض الزاهية والغابات الكثيفة والحقول المرعة المخصبة وهلك الحرث وباد النسل ونبت عوض هذا كله النبات الضار ... ذهب الفلاح ضحية السلب والنهب وبات يئن تحت ظلم الحكام الجائرين !

* * *

مرت الايام وكرت السنون فاستيقظ البشر من رقادهم ومزقوا سجوف الغباوة والجهل التي اسبلتها تلك القرون (الوسطى) فبُعثت الزراعة من جدثها مرةً اخرى . وقد فسح السلم لها مجالاً عظيماً فانتعشت وتقدمت . وقيض الله لها رجالا يفكرون في طرق اصلاحها ، في غضون القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر . فمنهم من قال بوجوب تخفيض الضرائب التي تُستوفى من المزارعين . ومنهم من تولى نشر الرسائل الزراعية المفيدة . ومنهم من أسس الجمعيات الزراعية العديدة في انحاء اوربا وبالأخص في فرنسا .. وقام علماء الطبيعة وقتئذ يتبارون في تطبيق الحقائق العلمية المفيدة على الامور الزراعية ونخص بالذكر منهم العلاّمة الطبيعي (لافوازيه) واضع علم الكيمياء الحديثة . وما خدمته للزراعة بخدمة يستهان بها فهو الذي قد ازاح ستراً من استار الحقيقة وعلم الناس كيف يزداد نتاج الارض ويتضاعف محصولها . فعرف البشر ان الزراعة ما هي الا علمٌ من جملة العلوم التي يجب ان يُجتلى غامضها ويُكشف القناع عن مغامزها واسرارها ...

ولم يكد ينقضي زمن نابوليون بقلاقله وفتنه ويعم السكون العالم الارضي حتى قام المصلحون يزعجون الحكومات بنشراتهم التي تحض الناس على الاهتمام بالزراعة

واول مدرسة زراعية اسست في فرنسا عام ١٧٨٦ م في ضاحية مدينة (رامبوييه) ، ثم قام عام ١٨١٩ رجل يدعى (ماتيو دو دومبال) واسس معهداً في جوار مدينة (نانسي) . ولم يمض غيرُ القليل حتى اشتهر هذا المعهد وتوافدت اليه الطلاب من كل قطر . وتخرج فيه تلامذة اسسوا عدة مدارس للزراعة . ثم تداخلت الحكومة في الامر وعاضدت الجمعيات الزراعية وناصرت الفلاح واسست عدة مدارس للزراعة من الطراز الاول . تُدرّس فيها الشؤون الزراعية ، والصنائع الزراعية العديدة التي منها صناعة الزبدة والجبن وتربية دود القز ، والنحل والدجاج

رشدي شعث

الى الحياة

ابتلى الله العالم بحرب ضروس ظهرت فيها ما صبت وما تصبو اليه مطامع البشر على اختلاف ممالكهم بل جنسياتهم بل مذاهبهم واختلطت فيها افكارهم وانانياتهم . فهبت عواصف مقاصدهم ونفخت ارياح سياستهم فلاعبت كفتي الميزان تارة الى الارتفاع وتارة الى الهبوط وثار ثائرهم فحجب الميزان وكفتيه عن نواظر القوم فاعمى بصائرهم وظنوا ان الله انزل بالارض بلاء لن يروا من بعده الحياة ، ولم يعلموا ان زعماء الافكار وقادة المطامع احكموا دفة سياستهم فاستخدم القليل الكثير في الذود عن حياضه طبقاً لما يسمونه بناموس تنازع البقاء ، فجرى الكثير الى الحرب والكفاح واهراق الدماء اجابة لداعي غيرة بثها فيهم زعماؤهم وساروا للدفاع عن اوطانهم يلقون الموت بصدور حديدية خطت عليها آياتهم : ان الحياة والسعادة والعظمة لا تنال الا من افواه المدافع ورؤوس السيوف

هذه هي الحرب ، هذه هي الآية التي نقشها ناموس تنازع البقاء على صفحات سجله ذكراً لقوم سالفين ودرساً لقوم يأتون

فيا اخي السوري خفف عنك وطأة الخوف وازح عنك لثام التهاون وسر معي هنيهة من الزمن على سيار الفكر نخترق صفوف الجنود بين لعلعة المدافع وصليل السيوف ونستجمع من مناظر تلك الساحات ما كتبته الانسانية بدماء ابنائها وحمله الاثير من افواه مدافعها آية يخلق بنا ان نمزجها بدمائنا فتحيينا ونحيا لها ، آية مقدسة تدعونا «الى الحياة»

الى الحياة ايها السوري ، انك الان على مفرق طريقين مختلفتين متضادتين تبتدئان معاً وتنتهيان الى ما لا حد له من الافتراق . طريق ترى في بدئها صعوبات شديدة وشدائد قوية توقفك عند سيرك واجماً مطرقاً متفكراً ! وقانطاً وطريق تراها في بدئها سهلة لا تصادفك فيها مصاعب ولا متاعب وما هي كذلك الا لانك القيت حملك على عاتق غير عاتقك غير عالم ان من اتعب نفسه انالها ما تتمناه ، وعندئذ تصل الى ما لا تحمد عقباه ، وتظهر لك الحقيقة اذ ترى ان الاثير مملوء بافواه اشبه بحيتان البحر تتطاول اليك تريد ابتلاعك وهناك لا منقذ ولا مخلص ، وما طريقك الاولى يا صاح تلك التي تقف في سبيل سلوكك اياها عقبات واهوال الا طريق الحياة الحرة السعيدة ، ولا بدع ان حال دون الوصول اليها احوال عصيبة فهائج البحر وعجيج امواجه يخبئ في جوفه الدر الثمين

يا من تصبو نفسك الى الحرية والاستقلال وانت تخبط في لجة الدهر تضاربك صروف الزمن وكالتائه في قفر سدت امام وجهه منافذ الحياة ، الا فاعلم ان الحياة لا تقوم بمظاهر الفخفخة والتمتع بالملاذ الفردية تحت ظل الجهل وعماوة الحب الذاتي بين اخوان الفقر وذوي الحاجة ، من ليس لهم على الحياة معين الا فتاتك الساقط من مائدتك تجمعه ان كنت من ذوي المروءة والشهامة وتسد به رمقهم ، اولئك الذين يعيبك الافرنج بسببهم انهم يعيشون على (بخشيشهم) اولئك الذين علمتهم يدك الذل والسؤال من ذاك الاوربي القائل ان معاشر السوريين معاشر (البخشيش) والسؤال

ايها الوطني الكريم هل ترضى هذا على نفسك ؟ الا تعلم ان الاوربي اذا تكلم عن السوريين تكلم عن كبارهم وليس عن الادنياء ؟ الا تعلم ان مثل هذه الاقوال تسود صحيفة لم تتعود الا بياض المكارم والكرم ؟ الا فاعلم انك عضو من جسم وطنك المحبوب وغيرك عضو آخر ،

فان تسعى لحياة غيرك فانت تسعى لحياتك ؛ اذ بحياة وطنيك حياتُك وبحياتك حياتهم

انت الان في عصر اختلطت به مع اجناس الشعوب المتعددة ، ووصلت اليك انواع العلوم والتمدن على اختلافها بعد ان نسيتها اعواماً عديدة ، فافهمتك ما اولدته عجائب الايام معنى الحياة واسباب التقدم ان شئت ان تفهمها

اجل ايها السوري المحبوب ان وطنك هذا الصغير قد جمع من الشعوب انواعاً عديدة واجناساً كثيرة وكلها مختلفة اللغات والالسن ولكن لجميعها غاية واحدة الاستنفاع النفسي والربح الشخصي ، فانظر اليهم في حب اوطانهم وتفانيهم لاجلها وهم في ارضك غريبون وسلوكهم الصعابَ لا يبالون باخطارها هياماً باوطان اتخذوها اية الغرام والهيام ، استنتج من طرقهم ما يزيدك تحيباً الى بلادك ، اعتبر في ضيفٍ حل بيت مُضيف فاصبح هو المضيف وذاك الضيف ، واتخذ من ذلك عظة تُعدك كي تقدم نفسك ذبيحةً على مذبح وطنك الذي فيه وُلدتَ طفلاً وعلى احضانه تمرغت صغيراً ومن دمائه امتصصت نامياً

اخي ! ان على المدارس يتوقف نجاح كل امة جملت الرقيَّ محجها ولذا ترى في بلادك كثيراً من المدارس الاجنبية وقد تكسبك هذه بعض الفوائد ولكن اعلم ان المربية الدخيلة في بيتك قد تكسب اولادك نفعاً ولكن ليست كوالدتهم غيرة عليهم ورفقاً بهم . فاقتصد مما تصرفه على مظاهر الأبهة والتبهرج وقدّم لوطنك هديةً مقدسةً مهما كانت قليلة فان شاطئ البحر الوسيع الذي تتكسر على اقدامه اضخم الامواج فيردها خاسئة ، تؤلفه ذرات دقيقة من الرمال . واجهد نفسك لتوسيع نطاق معاهدك الوطنية العلمية ، وقدّم لخدمتها عملة وطنيين وقفوا حياتهم لنفع بلادهم ، فلا تلذّ لهم الحياة الا بحياتها ولا يطيب لهم العيش الا باستنشاق نسيمها ، وانت آنئذٍ بصغارك ان شاءوا وان أبوا وغذّهم من لبان الحرية ما قدرت وأجرِ في عروقهم من دم الوطنية ما استطعت وابذل في سبيل تدريسهم العلوم والفنون ما تمكنت ، غير حاسب على اصابعك ما تبذله في هذا السبيل فترى بعدئذٍ رجالاً تُسعدُ بهم ، رجالاً يفون الاوطان حقها ، رجالاً ينشطون الى الحياة في الاستقلال والسعادة في الحرية

«ولا خير في من لايحب بلاده ولا في خليق الحب ان لم يُتيَّمِ
ومن يظلم الاوطان او ينسَ حقها تجئه فنون الحادثات باظلمِ
ولا خير في من ان احبَّ دياره اقام ليبكي فوق ربعٍ مهدَّمِ
فما يرفع الاوطان الا رجالها وهل يترقى الناسُ الا بسُلَّمِ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضله على قومه يُستغنَ عنه ويذَمَمِ
ومن يتقلب في النعيم شقي به اذا كان من آخاه غير مُنعَّمِ»

منري سماح



الاحتلال أنجع دواء للملاريا

(بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس توما ايكونومُس وواعظ)
(ابرشية عكا)

انتشرت حمى الملاريا ابان الحرب العامة انتشاراً عظيماً وحلّت بساحتي ضيفاً ثقيلاً ، فرأيت ان اوافي القرّاء الكرام بقصتي معها وكيف شُفيت منها ، مما لم يهتدِ اليه الاطباء.... وقد ضمّنتُ المقال نبذة من تاريخ مدينة عكا قديماً وحديثاً والمقابلة بين ماضيها وحاضرها ، الى غير ذلك مما فيه تفكهة للقراء وذكرى للمتبصرين منهم ، والله ولي التوفيق

تاريخ عكا

عكا مدينة قديمة العهد جداً يرجع تاريخها الى عشرات القرون قبل المسيح . موقعها الى الشمال على بعد ثلاثة فراسخ

من جبل الكرمل . دعاها العبرانيون عقاف ووردت في سفر القضاة باسم عكو (١: ٣١) وفي سفر ميخا النبي باسم عكا (١: ١٠) . اما البطالسة ملوك مصر الذين حكموها قرناً كاملاً فسموها بتولمايس

وكان بينها وبين دمشق طريق عربات قديمة العهد تُعرف بطريق البحر . وهي اقدم طريق في سوريا ذكرها الكتاب المقدس في سفر اشعيا (٩: ١) ومتى الانجيلي (١: ١٥) واشار اليها الكاتب الفرنسوي رنان الذي زار سوريا سنة ١٨٦٠

اشتهرت بتجارتها في السنين الخوالي . وباكتشاف الزجاج في ارضها اكتشفه الفينيقيون بالقرب من نهر النعمان . وبزراعة القطن والارز فيها . وسميت مدينة سوريا الحصينة او كما سماها الفرنسيون "مفتاح سوريا"

كانت مطمح ابصار الغزاة بالنسبة الى موقعها الطبيعي [١] وحصونها المنيعة . جاءها سمعان المكابي اخو يهوذا والي اليهودية ومثله اسكندر المكدوني الكبير وتيغران ملك ارمينيا وشدّدوا عليها الحصار فلم يفوزوا منها بطائل فغادروها وفي قلوبهم حزازات

استولى العرب عليها في اوائل الفتح الاسلامي بقيادة عمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان سنة ٦٣٨ م (١٦ هـ)

(١) يقال ان المزار المسمى « ابو عتبة » كان محاذياً لمدخل المدينة . وقد جعل الصليبيون «المنجر» حداً لها من الشمال ، وتل الفخار او تل نابوليون والشاحوطة من الشرق ، والبحر من الغرب والجنوب . اما جامعها (وقبلاً السراي) وحمام الباشا فمن اجمل ابنية الشرق كان فيها آثار كثيرة من الهندسة الرومانية وكنائس ودبارات ومستشفيات وفيرة وشهيرة لم يبقَ لها اثر في ايامنا . ويُقال ان اسم «يوحنا قديس عكا» St. Juan d' Acre أطلق عليها بالنسبة لوجود كنيسة جميلة جداً هناك بناها فرسان القديس يوحنا الاورشليمي وقد بقيت آثارها الى ايام اجدادنا (في الفاخورة تحت دار علي الاسود)

ثم خربت فجدّدها هشام بن عبد الملك ونقل منها الصناعة الى صور . وهكذا الى ان فتحها جيش الصليبيين سنة ١١٠٤ بعد فتح اورشليم بخمس سنوات . وعاد صلاح الدين الايوبي فاسترجعها سنة ١١٨٧ فبقيت في حوزته سنتين كاملتين

وفي ١٣ نيسان سنة ١١٩١ استردها ريكاردوس الملقب بقلب الاسد [١] في الغزوة الصليبية الثالثة التي امتاز فيها هذا البطل

حاصرها سلطان مصر الملك الاشرف بن قلاوون آتياً من طرابلس وكان فيها ممثلو ملوك نابولي وانكلترا وفرنسا وامير انطاكية وامراء الفرسان الاورشليميين وغيرهم . فدافع هؤلاء دفاع الابطال الا ان المدينة لقلة المدد سقطت في يدي المحاصرين في ١٦ حزيران سنة ١٢٩١ . فاخذ الفاتحون ستين الف اسير قتلوا منهم عدداً كبيراً واستعبدوا الباقين ثم دكّوا حصون المدينة المنيعة وخربوا ابنيتها وردموا مرفأها فانتقلت التجارة منها الى البحر الاسود والقطر المصري

امتلكها الاتراك في عهد السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ . وفي اواسط القرن الخامس عشر جاءها الامير العربي الشيخ ضاهر العمر عميد الزيادنة وكان مستولياً على الجليل القديم فاستخلصها من الاتراك واعاد اليها بعض مجدها فزهت في ايامه واصبحت قبلة الابصار . وفي سنة ١٧٧٠ نشبت الحرب بين ضاهر العمر الزيداني صاحب عكا واحزابه امراء المتاوله . وفي سنة ١٧٨٧ وُجهت ولاية دمشق الى احمد باشا الجزار فحضر الى عكا وتسلّم زمامها من الزيادنة واقام فيها بعد ان ولّي على دمشق نائباً عنه . واهتم الجزار بتحصين عكا واحاطها

(١) اراد الدوق ليوبولد النمسوي ان يستبد بالحكم فيها فرفع رايته الخاصة فاستاء قلب الاسد وطرحها في الخندق وامر بان تُجرّ على الارض فترك النمسويون المدينة وعسكروا بجوارها وعاد الدوق بعد ذلك الى النمسا

بالاسوار الضخمة الباقية الى اليوم

وقد روى التاريخ عنه انه كان قاسياً سفاكاً للدماء (ولهذا لُقب بالجزّار) بلاّصاً للعباد ظلوماً . فخشيه الناس لجوره وشرّه[١] . مات في عكا ودفن بجانب جامعها المشهور باسمه. وأرّخ وفاته الشيخ مصطفى الرومي بقوله:

هلكَ الجزّارُ ولا عجبٌ ومضى بالخزيِ وبالاثم
وبميتهِ الباري عنا أرّخ (قد كفّ يدَ الظلمِ)
١٢١٩ هـ

قلنا ان المدينة زهت في ايام الزيادنة واستلفتت انظار العالم اليها فتصور بونابرت باخذها اخضاع سوريا بتمامها فجاء برًّا ترافقه فِرَق القواد مورات وبون وكلابر ورئينيه ولان.. الا ان الجزار حاكم المدينة آنئذ استغاث بالسر عسكر قائد جيش سوريا الكبير . وكان الاميرال الانكليزي (سدني سميث) قدّم للجزار المهندسين ورجال المدفعية والذخائر اللازمة فاستعدّ الجزار للحرب . وكان بونابرت قد فقد اكثر مدافع الحصار الضخمة ولم يبقَ لديه سوى بعض عشرات من المدافع الخفيفة . وكانت قنابله تخطئ الهدف كثيرًا . فشدّد على المدينة الحصار شهرين كاملين . على ان القنابل المتساقطة على جيشه من البحر من عمارة السير سدني الانكليزي ومن المدينة اضف اليها الاخبار التي وردته من اوربا الجأته الى الرجوع[٢] كاسف البال خاسرًا من جيشه نحو اربعة آلاف وقد قدم جواده لاحد الجرحى وواصل السير ماشياً على قدميه

وبعد وفاة الجزار اخرج الشيخ طه الكردي اسمعيل باشا الذي كان في السجن واجلسه عوض الجزار مدعياً ان الجزار بايعه الولاية قبل وفاته . وكتب اسمعيل باشا الى اصحاب الولايات يعلمهم بولايته. اما نائب الجزار في دمشق فلم يرد ان يعرف اسمعيل باشا والياً وكتب الى الامير بشير عمر الشهابي الكبير يطلب اليه المحافظة على الطرق وان يمدّه برأيه . فاجابه الامير اني فعلت كل شيءٍ قبل ورود رسالتك اما اسمعيل باشا فلا اعترف به لان الدولة لم تنصبه. وبعد ذلك اتى ابرهيم باشا والياً على دمشق فسار مع جنود الامير بشير وقتل اسمعيل باشا والي عكا واقام سليمان باشا بدلاً منه سنة ١٨٠٥ (١٢٢٠ هـ)

ثم تقلب الولاة على عكا حتى صارت ولايتها الى عبد الله باشا[١] (الخزندار) وجرت وحشة بينه وبين درويش باشا والي الشام . فاستعان عبد الله باشا بالامير بشير فأمدّه بالجنود اللبنانيين فساروا وقهروا عساكر درويش باشا واحرقوا قرية المزّه . ولقد اطنب المؤرخون في ذكر الشجاعة المدهشة التي اظهرها الجنود العكاويون سنة ١٨٢١ (١٢٣٥ هـ)

---

(١) اقامه الامير الشهابي حاكماً على بيروت فعصيه فأخرجه منها فذهب وصار والياً على عكا . وكان كثير المظالم والاعمال الفاحشة . قيل انه في حين مناجاته لحريمه كان يمسك اذن الواحدة منهنّ فيقطعها بخنجره . وانه كان يوماً في حديث مع صرّاف له يقال له حايم فسمل عينيه مداعبةً ثم جدع انفه ثم قطع رأسه الخ (عن تاريخ سوريا لجرجي يني)

(٢) في متحف اللوفر بباريس طاسة نحاسية من طاسات مستقي (سبيل) جامع الباشا اخذها احد جنود بونابرت عند رجوعهم عن المدينة لان السير سدني ضمن لهم العودة بسلاحهم بعد معركة الجامع المذكور

(١) كان عاتياً ظلوماً يكره المسيحيين وقد سدّ ابواب الكنيسة الارثوذكسية في اسبوع الآلام بالطين والحجر على المسيحيين الى اليوم التالي حيث استرحم نساؤه من امه فوبخته وتهددته فامر بفتحه . وسجن مرة المطران اثناسيوس ومعه احد عشر رجلاً من اعيان طائفته مقيداً اياهم بسلسلة حديدية في ارجلهم وبسلسلة اخرى شائكة في اعناقهم ليفتدوا انفسهم بالمال فكفلهم لديه احد اعيان آل الماضي . الى غير ذلك من ضروب القسوة والجور

وبينا كانت المعارك قائمة على ساق وقدم جاء ابرهيم بن محمد علي باشا نائب السلطان في مصر وحاصر عكا تسعة اشهر متواصلة . ويُروى انه يوم فتحها سئم ابرهيم باشا مداومة القتال فأمر باطلاق القنابل عليها بشدّة وكانت ساعة مخيفة وقف فيها الفاتح المذكور ينظر الى المدينة وقد أمطرت بالقذائف الجهنمية فقال مرتجلاً

لو لم تكن دارَ التعاسة عكةٌ ما أمطرتها بالشرار جهنمُ

فلم يتم كلامه حتى ارتفعت الراية البيضاء على سور المدينة علامة التسليم فأسرع الشاعر المشهور بطرس بك كرامة وقال :

لو لم تكن دار السعادة عكةٌ ماحلَّ فيها ذا الركاب الاعظم (١)

ولما دخل ابرهيم باشا المدينة اوصى الجنود بالمحافظة على الارواح والاعراض وساق عبد الله باشا اسيراً الى مصر سنة ١٨٣١ (١٢٤٧ ﻫ) ثم استقل بالحكم . فشكاه السلطان الى ابيه محمد علي باشا . فاستاء ابرهيم باشا لذلك ولم يلبث ان زحف على الاتراك وانتصر عليهم في نصيبين من بلاد ارمينيا . ورافقه النصر فتهدد القسطنطينية . فعرض عليه السلطان ان يجعل ولاية عكا وما جاورها من مدن سوريا الجنوبية ملكاً له ولذريته من بعده فلم يرض محمد علي . وواصل ابنه ابرهيم السير حتى استافت نجاحه دول اوربا وكان من اعقاب ذلك معاهدة ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ حين جاء الاسطول المثلث مؤلفاً من الدوارع الانكليزية والنمسوية والتركية تحت امرة الاميرال الانكليزي ستافورد فاستولى على بيروت وصيدا ويافا وجبيل وبعد اطلاق القنابل مدة يومين اخذ عكا عنوة (٢) فدخلت في حوزة تركيا وبقيت في يدها نحو ٧٨ سنة الى ان استرجعها الانكليز

وقد قرظ الشيخ امين الجندي الشاعر المنشد هذا الفتح بنشيد اذكر منه ما تلقنته من المرحومة جدتي وقد سمعته هي بأذنيها وهو :

يامن رأى الاسود في حومة الميدان
في يوم اخذ عكا عساكر السلطان
قال ستافور خذوها حالاً ولا تبقوها
الابراج اهدموها وذبّحوا «الدشمان»
الانكليز اصطفّت عن اخذها ما عفّت
وبالقنابل هفّت اعاليَ البنيان

* * *

في حصار نابوليون بونابرت قُتل البكباشي اولد فيلد . وفي حصار ابرهيم باشا مات الاميرال ووكر الانكليزيان . ودُفنا في المدينة بجانب كنيسة الروم الارثوذكس

وقد اهتمت الحكومة الانكليزية فأقامت اثراً لهذين البطلين حفرته في الرخام باللغتين الانكليزية والعربية وهذا نصُّه بالعربية حرفياً : اقامت الحكومة الانكليزية هذا الاثر سنة ١٩٠٧ تذكاراً لموت البكباشي اولد فيلد احد الضباط الانكليز البحرية في الثالثة والاربعين من عمره وهو يقود فرقة من حامية هذه القلعة في هجومها على الجيش الفرنسوي حينما كان يحاصرها نابوليون بونابرت في شهر نيسان سنة ١٧٩٩ ودفنه الفرنسويون بالشرف العسكري . كان جندياً باسلاً لا عيب فيه وصاحبه الى قبره احترام اصحابه واعدائه . ولموت الاميرالاي ووكر احد جنود الانكليز البحرية المتوفى سنة

(١) دخلها يوم السبت في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٤٧ ﻫ (١٨٣١م)

(٢) أُطلق عليها في هذين اليومين ٣٠ الف قنبلة لم تزل عشرات منها في فوهات المدافع التي اسكتتها الى الان شاهدة بمهارة الاميرال الانكليزي . وقد نُسبت الية ناحية من السور في الشمال الغربي فدعيت «مدورة الانكليز» الى اليوم . وقد احترق مخزن البارود من قنابل الاسطول وخرب قسم منه

١٨٤٠ في الثانية والستين من عمره اثناء الوقائع التي اجبرت ابرهيم باشا على الخروج من سوريا»

ورأت الحكومة التركية ان هذا الاثر هو بمثابة وتد جحا الذي باع داره وترك هنالك وتدًا ملكًا له فيها ليستأنف الدعوى بالملكية. ففطنت لهذا الامر ابان الحرب العمومية وأمرت بمحوه بالازميل. وقد ازالت اثاره من الرخام على انها لم تستطع ان تمحوه معنويًا من صدور مقيميه الذين عرفوا ضالّتهم المنشودة وان امّحت آثارها

(تتمتها في الجزء القادم)

رسائل طبيب

« معالجة الاسنان في القرن السادس عشر »

لقد ترك لنا امبرواز باريه ابو الجراحة الفرنسوية في ذلك القرن مؤلفات عديدة في الجراحة طافحة بالفوائد الجمة وهي اذا قوبلت بمؤلفات العصر الحاضر كان ولا جرم بينها وبين تلك بون عظيم

صرّح ذلك الجراح المشهور ان اشد الم على الجسم البشري هو الم الاسنان الذي لا يفوقه ألم وأشار لمعالجته باساليب عديدة فكان ينبئ العليل اذا قاحت لثته بان ضرسه سيعتريه خلل ويفسده السوس ولا مناص عندئذٍ من النخر الذي يذهب بحالته الصحية. وكان ينسب كل امراض الاسنان الى المادة السخنة او الباردة التي يبتلعها المريض. وكان يعالج اللثة الملتهبة بان يضع عليها كمية من العلق لامتصاص الدم الفاسد المحتقن هناك او يشير باخذ بعض (حجامات) من العنق او من بين الكتفين. وكان جمهور الاطباء وقتئذ يعمدون الى فصد الوريد الواقع تحت اللسان ليخففوا احتقان اللثة

اما العلاج الفعّال الذي كان يتداوله ابناء ذلك القرن ويستعمله الاطباء انفسهم فهو علاج عجائزي من امثال ما تصفه عجائز عصرنا الحالي وهو ان العليل اذا شعر بألم في اسنانه كان يشوي ثومة في النار حتى تصبح كالنار حرارة ثم يضعها على السن المتألم فيزول الالم لحينه...

وعند اهتزاز بعض الاسنان سواء كان ذلك من صدمة او من داء اعتراها كان اطباء ذلك العهد يربطون الاضراس المخلخلة ويشدونها بالاضراس السليمة المحاذية لها من الجهتين اليمنى واليسرى الى ان تعود تلك الاضراس الى صلابتها الاصلية ولكنها كانت لا تلبث ان تعود فتسقط

وكثيرًا ما كانوا يصفون لاجل تنقية الاسنان مضمضة مركبة من مغلي جذور الختمية مع الخمر البيضاء ومسحوق الشب. ويصفون مسحوق عظام بعض الاسماك ومسحوق قرن الوعل وغيرها من المساحيق والعقاقير التي لا نقدر ان ننتقدها بشيء لو لم يأتِ القرن العشرون باختراعاته الحديثة ولم يدع مكانًا لتلك المساحيق والعقاقير التي هي اليوم انفع للحيوانات منها للبشر

ولكني اقول مع الاسف ان اختراعات هذا القرن لم تشمل المسكونة كلها فان بعض المنتسبين الى طب الاسنان في اليابان مثلاً لم يبصروا حتى الان نور العصر العشرين لانهم لا يزالون يخلعون الاضراس باصابعهم دون ان يستخدموا شيئًا من الآلات. وذلك ان الواحد منهم اذا اراد ان يخلع ضرسًا لعليل يقبض على فكه ثم يمد سبابته وابهامه ويخلع له قدر ما اراد من الاضراس مهما كانت صلبة. وكل طبيب اسنان هناك قبل ان يُصرّح له بمعاطاة هذا الفن يتمرّن

طويلاً على خلع طائفة كبيرة من المسامير يكون استاذه قد غرزها له في قطعة من خشب الصنوبر ثم في قطعة من خشب السنديان ثم في خشبة اخرى اصلب مما تقدم وهو بعد ان يمارس خلع تلك المسامير مدة يسهل عليه خلع ما شاء من الاضراس بكل حذق كما مارس ذلك استاذه من قبله

دمشق　　　　الدكتور حنا القسوس

الوارث

(تابع لما قبل)

٤

ونهض عزيز في صباح اليوم التالي ورأسه لايزال مثقلاً بالافكار وقد وطَّن النفس على مقابلة استير في المساء ولو كان في هذه المقابلة الحكم عليه بكل حرمان. وخطر في باله ان ينتحل بعض الاعذار يمهد بها لعمه اضطراره الى التغيب عن المنزل الليلة المقبلة. ولكنه لم يتوفق الى شيء من ذلك ، فترك الامر للتقادير ، ودخل مخدع عمه ليطمئنه عن صحته ويحييه تحية الصباح ، كما اعتاد ان يفعل ذلك كل يوم قبل خروجه من المنزل، فرآه جالساً على سريره ودلائل العافية بادية على وجهه . فحياه عزيز وهو يظهر السرور والارتياح

فقال له الشيخ — لقد كانت الليلة الفائتة اسعد ليلة بتُّها في الايام الاخيرة فقد قضيتها كلها نوماً دون ان يؤرقني ألم او يزعجني حادث، وأراني في نشاط يفوق نشاطك وعافية لا تتمتع بها انت الان ، لاني أرى في عينيك ان الكرى لم يزرهما ، فقضيت ليلتك مسهَّداً مضطرباً . انا لا اريد ان استشف دخيلة امرك ، ولكن يلوح لي انك على غير هدى منه ، واريد ان يكون لك من نفسك زاجر . فاذهب الان الى المحل واجتهد ان أقرأ في عينيك غير ما اقرأه الان

وما صدق عزيز ان خرج حتى تنفس الصعداء . ولم يبطئ ان خرج من المنزل وسار جهة المحل وهو في همّ شديد. وقضى ذلك النهار وهو في المكتب في الطبقة العليا ، لم يشرف على شيء من احوال البيع والشراء كأن الامر لا يعنيه ولا هو من متعلقاته . وكان اذا سأله احد المستخدمين او جاء امين الصندوق لمفاوضته في شيء يختصر المقابلة ما امكن ويتبرَّم متضجراً

ولما اقبل المساء استدعى سليماً ، امين الصندوق ، وقال له — ان شغلاً في غاية الاهمية يضطرني ان أغيب هذا المساء عن المنزل فأرجو ان تأخذ مفاتيح المحل الى عمي وتُشعره بالامر واجتهد ان تقنعه بضرورة ذلك وتؤكد له اني لم أُقدم على هذا الامر الاَّ بعد ان اطمأن بالي من جهة صحة عمي وتحسن احواله

فنظر سليم الى عزيز شزراً وقال — لبيك فسأذكر لعمك ما تريد غير ان تغيبك لا يمكن الاَّ ان يكون له اسوأ تأثير في نفسه وهو سريع التأثر سريع الغضب هذه الايام وارى ان كل محاولة من جهتي لاقناعه بضرورة تغيبك لا تقنعه وقد لا يسمع كلامي فتكون النتيجة على غير ما تحب

قال — هذا ما اتوقعه ولكن لاسبيل الى النكوص عما عزمتُ عليه

وبعد حديث قصير في هذا الموضوع خرج عزيز من المحل، وخرج سليم وسائر المستخدمين ايضاً فأقفلوا المحل وسار كلٌّ في طريقه ، وقد ايقن عزيز ان سليماً سيحاول تسكين اضطراب الشيخ ما امكن

وما سار عزيز بضع خطوات حتى رأى عربة فوثب اليها وراح ينهب الارض الى المسرح ، فوصله وكان الممثلون قد شرعوا في التمثيل وغصَّ المكان بالجماهير على اختلاف الطبقات

وما هي الا لحظة حتى برزت استير في جملة الممثلين والممثلات ، فدوى المكان تصفيقاً . ثم رقصت وغنَّت فلم يبقَ الاَّ من أُعجب بها وسُحر بحركاتها وجمال تكوينها ولين اعضائها ورخامة صوتها وبراعتها وتفننها . وكان عزيز اكثر الحضور طرباً واعجاباً وفخراً

وماكاد ينتهي الفصل الاول من التمثيل ويُسدل الستار حتى هبَّ من مكانه ودخل احدى غرف الممثلين حيث كانت استير واقفة امام مرآة كبيرة هناك تراجع ما ستقوله في الفصل الثاني ، فهجم عليها واخذ يدها فقبلها

ولم تكن استير تنتظر مثل هذه المفاجأة فذعرت وصاحت . ثم

تجلدت وقالت — وكيف دخلتَ الى هنا ؟ وباي حق ؟ ومَن أذن لك بذلك ؟ انك قد رعبتني وعكَّرت عليَّ صفاء افكاري فلم يعد في امكاني ان امثل دوري كما اريد وتريد شهرتي ويريد الجمهور

فقال عزيز وهو ينظر الى كتفيها العاريتين وذراعيها الناصعتين ولا يشبع — عفوكِ يا عزيزتي ، فقد جئتُ لاخبرك اني هنا حسب امرك

— لستُ عزيزتك ولا اريد ان تقابلني ما لم احصل على مطلوبي كله

— وانا انما اتيتُ هذا المساء لهذا الامر عينه . وقد جاء ناثان الصيرفي ايضاً وفي صحبته حظيته سارة

— نعم وقد رأيتهما . فعد الان من حيث اتيت ولا تبلبل افكاري قبل ان ينتهي التمثيل

فتنهد عزيز وقال — ولكن اسمحي لي ان امتع نظري لحظة فقط بجمالكِ النادر المثال . . آه يا استير يا حبيبتي انك حورية هبطت من السماء . . وليس لعين ان تبصر ما اراه انا الآن من هذا الجمال والسناء وهذا القد والاعتدال . . وما الطف هذا الثوب الذي ترتدينه انه لم يُخلق الاَّ ليكون على هذا البدن البضّ الغضّ

— انه يكون اجمل مما هو الان لو زُيّن بعقد جميل من الالماس . . غير ان حبيبي ليس بالحبيب الكريم الذي يقدر الجمال حق قدره

— سيكون لك العقد يا سيدة الملاح ويكون كل ما تشتهين . اني سأستدين المال هذه الليلة واقدم لكِ كل شيء . . لقد سحرتني يااستير وسلبت عقلي وبصري فلم اعد ابصر من الدنيا الاَّ جمالك ولم اعد اسمع من الانغام الا صوتك . . سأبيع روحي للابالسة واقدم لك الرداء والعقد

— ولا تنسَ العربة

— والعربة ايضاً

— حسن فاخرج الان من هنا واجتهد ان يكون التصفيق حاداً

— سيكون كل شيء على ما ترغبين

قال ذلك واختطف قبلة من عنقها ثم خرج سريعاً وعاد الى كرسيه . وعاد التمثيل الى حاله الى ان قارب الليل ان ينتصف . ولم يكن بين الجمهور مَن لم يدهش لبراعة استير في التمثيل والغناء . وكان كثيرون من الرجال الذين جلسوا بالقرب من عزيز يذكرون اسم استير ويثنون عليها . وقد قال واحد منهم وكان صحافياً — اني سأكتب غداً فصلاً كبيراً في وصفها

وقال آخر وكان شاعراً — انا لا اصدق ايها الاخوان ان هذه الفتاة بشر فهي ملك هبط من السماء وقد محا ذكرها ذكر كل جميلة وقفت على مسارح التمثيل او في معابد الجمال

وقال غيره وكان ضابطاً في العسكرية — يجب ان نقدم لهذه المخلوقة هدية تليق بجمالها وبراعتها في الفن

وقال آخر — ولكنها بالاسف يهودية

وقال غيره — لكن كيفما شاءت فنحن انما نهواها لجمالها وفنها والكل في دين الجمال والفن سواء

وقال آخر — وزد على ذلك فالبنات الوطنيات في هذا الشرق لا ينصرفنَ الى مثل هذه الفنون لان تربيتهنَّ تختلف عن تربية امثالهنَّ في الغرب

وقال غيره — وقد اصاب الشرقيون في ذلك فوقفوا حائلاً منيعاً دون فشوّ الخلاعة والتهتك بين بناتهم ونسائهم

وقال غيره — ما لنا ولكل هذا فانما نحن عُباد فن وعُباد جمال وقد سلبت هذه الفاتنة عقولنا والسعيد منا من استطاع ان ينال حظوة في عينيها

وكان عزيز مصغياً بكل حواسه الى هذا الحديث وقد شعر بنار الغيرة تتقد في صدره وخشي ان تكون شهرة استير سبباً لزيادة عشاقها وحرمانه اخيراً منها ولذلك فقد صمم ان لا يدع وسيلة لاحد ان يدنو منها او يتزلف اليها بشيء

وكان الفصل الاخير قد انتهى وسُدل الستار واخذ الجمهور يخرج زرافات زرافات ، فأسرع عزيز الى داخل المسرح ، الى الغرفة التي اعتادت استير ان تبدل فيها ملابسها ، فرآها واقفة بثيابها الاعتيادية وعندها عمتها وناثان وسارة ، فحيا الجميع وصافح ناثان وسارة واراد ان يجلس . فحدجته استير بنظرة حادة وقالت — اراك تريد الجلوس هنا ونحن قد اتفقنا ان نتناول طعام العشاء هذه الليلة في فندق شبرد حيث نتكلم في الموضوع الذي اجتمعنا لاجله . فاذهب سريعاً ودبر عربة جميلة تقلك الى هناك واجتهد ان يكون عشاء هذه الليلة اشبه بمأدبة ملكية واياك ان تقصر في شيء

ولم يكن عزيز متوقعاً مثل ذلك . ولم يكن لديه من المال ما يقوم بنفقات العشاء والعربة على ما يريد . غير انه خرج من الغرفة وذهب تواً الى امين الصندوق في المسرح وسأله ان يقرضه عشرين جنيهاً الى الغد . وكان امين الصندوق هذا رجلاً يهودياً يقال له موسى وكان

يعرف عزيزاً تمام المعرفة ولم تخف عليه علاقته باستير . بيد انه وجم في بادئ الامر حين فاتحه عزيز بامر المال . ولما وعده ان يدفع له ربا هذه العشرين جنيهاً جنيهين ليوم واحد عاد فافتر ثغره وناوله القيمة وطلب منه صكاً بها . فكتب له عزيز صكاً باثنين وعشرين جنيهاً يدفعها في اليوم التالي





لم ينقض بعد ذلك الا بضع دقائق حتى كان الاربعة — عزيز واستير وناثان وسارة — في عربة من العربات الكبيرة الجميلة تنهب الارض الى جهة فندق شبرد . وما هي الا عشرون دقيقة حتى وصلوا وطلبوا عشاء في ردهة جميلة من ردهات ذلك الفندق المشهور وجلسوا يتجاذبون اطراف الحديث وقد صُفّت امامهم زجاجات الخمور على انواعها

فقالت استير — نحن الان في اواخر شهر تموز ولكني شعرتُ بحال خروجنا من المسرح ببرد شديد لا ازال ارتجف منه حتى الان وأخشى ان يصيبني بسبب ذلك حمى تقعدني في الفراش اياماً

فضحكت سارة وقالت — حقاً ان البرد شديد . فلماذا لا ترتدين فروة او غير ذلك من الاردية الثقيلة في مثل هذه الليلة ؟

قالت — ذلك لان عزيزاً يريد ان يدفئني بالكلام فقط . فقد وعدني منذ زمان بفروة جميلة ولا يزال يعدني بها

فقال عزيز — غداً او بعد غد تكون لديك فروة من احسن الفراء واجملها واثمنها فلا تستائي يا عزيزتي

وقالت سارة — ان استير من الممثلات النادرات المثال بالجمال والفن وقد رأيتُ الليلة منها ما ادهشني وأدهش الجمهور كله . فمن الحيف ان تُحرم شيئاً من اسباب السرور والانبساط

استير — وزيدي على ذلك ان عزيزاً من اهل اليسار ولا يهمه ان يشتري فروة وفروتين كل يوم . ولكنه بخيل من الدرجة الاولى . وانا لو اردتُ ان اسلّم زمامي الى غيره ممن يتهالكون في سبيل مرضاتي لحصلتُ على كل ما اريد واكثر مما اريد

عزيز — لا تصفيني بالبخل ايتها الحبيبة وقد قلتُ لك ان غناي ليس في يدي الان ما دام عمي حياً يُرزق . فانتظري قليلاً الى ان اصبح وليّ امري ومطلق القيادة في اشغالي

استير — اذا كنت صفر اليدين من المال وعمك في هذا الغنى العظيم فلا أسهل من ان تستدين قدر ما تريد . ولكنك قليل التدبير قليل السعي ، بل انت احمق ومجنون

فظهرت على وجه عزيز علامات الغيظ وقال — ولكن بماذا اسأتُ اليك حتى تعامليني بمثل هذا الاستخفاف امام الغير ؟

استير — لا تغتظ ايها الحبيب فما كلامي الا من باب المداعبة ولا غريب بيننا الان لاننا كلنا اصدقاء

عزيز — انت تعلمين ان عمي على فراش الموت فهو لا يمشي ولا يضطجع بل ينام جالساً ، وانا لا اجد وقتاً أستطيع ان افارقه فيه لحظة ، واذا وجدت فاني استخدم هذا الوقت لمقابلتك ، ولذلك يعسر علي جداً ان استخدم هذا الوقت القصير لتدبير المال ، فضلاً عن اني لم اعتد الاستدانة قبل الان

قال عزيز ذلك وعلامات الانقباض والتأثر لاتزال مرتسمة على وجهه ، فأخذته استير برأسه وعضّته في خده وقالت — انت تعلم اني احبك بكل جوارحي ، فأُريد ان تقابلني بالمثل ولا تدعني في حاجة الى شيء . وكلنا نعلم ان عمك من كبار اهل اليسار وانك وريثه الوحيد وانه قد شاخ جداً وثقل مرضه ، فلم يبقَ لك والحالة هذه الا ان تستدين شيئاً من المال من بعض الاصدقاء ، فأكون كأني لك

عزيز — وانا لااريد ان اعصي لك امراً وهذا ما جئنا لاجله الى هنا

استير — نعم ، وقد ادرك المسيو ناثان الامر ، وهو مستعد ان يسلفك ما شئت ، فاغتنم هذه الفرصة واسأله حاجتك

ناثان — اني مستعد ان اساعد المسيو عزيزاً بكل ما استطعتُ الى ذلك سبيلاً ، غير ان المال في هذه الايام قد اصبح عزيزاً جداً ، لان الناس يتوقعون الحرب العامة من يوم الى آخر ، واصبح كل ذي مال حريصاً على ما لديه خشية الوقوع في ازمة مالية تضطرب لها البلاد . وقد سمعتُ اليوم ان النمسا شهرت الحرب على الصرب واخذت تطلق مدافعها على عاصمتها بلغراد . فاذا صحّ الخبر ولا اظنه الا صحيحاً فستعلن روسيا الحرب على النمسا وتعلنها المانيا على روسيا وتعلنها فرنسا على المانيا وقد تنحاز انكلترا الى جانب فرنسا وروسيا فتعلن الحرب على المانيا وتركيا على انكلترا وروسيا وفرنسا . فيشتبك العالم كله في حرب طويلة الامد كثيرة الويلات . وهذا الان من اكبر الاسباب التي تضطر اصحاب الاموال الى الاحتفاظ باموالهم وعدم المجازفة بها

استير — دعنا بالله من الحرب لاني اخشاها وأرتجف من ذكرها، وهات دبر لنا مسألة عزيز بكل ما لديك من الوسائل

فقال ناثان لعزيز — وكم هي حاجتك الى المال ؟

عزيز — يكفيني خمسمئة جنيه تسلفني اياها باي ربا شئت

قال — انا لا اسلف احداً شيئاً لاني لست من ذوي الاموال — ولكني سأجد من يقدم لك المطلوب على شروط لا بد منها لي وله

عزيز — سواء كان المال منك او من غيرك فأرجو ان تسهل لي هذا الامر

استير — ولا تخش يا مسيو ناثان عدم الوفاء لان لعزيز عمّاً غنيًا جداً لا شيء في نظره مثل هذه المبالغ الصغيرة

ناثان — انا أعرف الناس بعمه ولذلك فلا يريبني من جهته شيء

فقالت استير لعزيز — فما دام الامر على هذه الصورة والحرب على الابواب فاستدن الف جنيه دفعة واحدة

عزيز — لا . فقد يكفيني الان خمسمئة

ناثان — نعم وتدبير الخمسمئة جنيه الان من اصعب الامور

ثم اطرق قليلاً وقال — ويلوح لي ان المسيو عزيزاً يريد ان يشتري بهذا المال بعض الاشياء كفروة وغيرها

استير — نعم فانه يريد ان يشتري لي رداء مبطناً بالفرآء وعقداً من الالماس وغير ذلك

ناثان — فانا ارى والحالة هذه ان يبتاع الرداء من احد الفرائين والعقد من احد الجوهريين وغيره من غيره، كل شيء بسعره ورباه

استير — بورك فيك يا مسيو ناثان ما أحضر ذهنك واحكم تدبيرك

عزيز — ولكني في حاجة الى المال ايضاً

ناثان — وستأخذ مالاً ايضاً. فاننا نستطيع ان نشتري فراء او عقوداً او آلات موسيقية من بعض التجار ثم نبيعها فيكون لك ما تشاء من البضاعة والمال من اهون سبيل وبخسارة قليلة وهذا ايسر واقرب تناولاً من استدانة الاموال رأساً

فقالت استير لعزيز — اذا كان الامر كما يقول فلا يبقى لك الا ان تفوض اليه الرأي وتتما المسألة غداً، وغداً يكون عندي العقد والفروة

وما زالوا في مثل هذا الحديث حتى اقتنع عزيز برأي ناثان واتفقا على ان يذهبا في الغد لتدبير الامر . وقد وافق عزيز على ان يكون الربا عشرين في المئة لاصحاب البضاعة وخمسة في المئة لناثان

وكانوا قد فرغوا من الشراب، وحضر الطعام فأكلوا، ثم عادوا الى منازلهم، واكثر الكل سروراً استير بما وُعدت به من الهدايا السنية، وناثان بالربح الكثير

٦

ونهض عزيز في صباح اليوم التالي من الرقاد وليس لديه شيء من المال . فضحك من حالته لانه لم يرَ انجع دواء لما هو فيه من الهم والقلق الا الضحك . ولم يشأ ان يسترسل في التأمل او يفتكر في ما عساه ان يقول لعمه عن سبب غيابه

وبهذه الحالة خرج من مخدعه وقصد غرفة عمه . فألفاه جالساً في سريره فتقدم اليه وحياه

وكان الشيخ قد سرّ لقدومه عليه وهو في تلك الحالة من الانبساط والانشراح . وكان هو ايضاً قد نام تلك الليلة نوماً هادئاً لم يشبه انزعاج واصبح في عافية ونشاط . فقال له — انتظرتك امس المساء بطوله فلم تحضر فعسى ان لا يكون غيابك الا لامر يعود على المحل بالفائدة والخير

ولم يكن عزيز ينتظر مثل هذه المجاملة من عمه فسرّ وزاد وجهه اشراقاً وقال — نعم يا عماه فلم اقض الوقت الا في درس ما ستؤول اليه حالة التجارة في هذه البلاد بسبب الحرب التي اعلنتها النمسا منذ اول امس والتي لا تلبث اوربا بامرها ان تخوض غمارها

قال — نعم انها حالة مقلقة وقد قرأت لي نجلاء البرقيات الاخيرة فدهشت لرفض النمسا كل توسط سلمي اوتحكيم دولي بينها وبين الصرب . وظهر لي ان لالمانيا يداً قوية في حمل حليفتها على هذا الرفض لما تتوقعه من المنافع الجمة التي تظن انها ستجنيها من وراء ذلك

وكان عزيز لا يميل الى السياسة ولا تهمه الحرب، لان في نفسه حرباً اخرى كانت تستغرق كل اوقاته ولا تترك له فرصة للاهتمام بامر آخر . غير انه كان يصغي الى احاديث السياسة ويطالع بعض الصحف من حين الى آخر ارضاء لعمه ليس الا . وكان اذا فاتحه عمه في هذا الموضوع يعلم انه في ارتياح وسرور فيسرد له كل ما سمع وقرأ في يومه وهو يعلم انه كلما زاد في الخبر ازداد عمه ابتهاجاً وارتياحاً . فلما اشار الشيخ الى يد المانيا الخفية في اضرام هذه الحرب قال عزيز — وقد

ذكرت الصحف ان روسيا اصدرت امرها بالتعبئة العامة انتصاراً للصرب

قال — هذا منتظر من روسيا لان صربيا ربيبتها وقريبتها جنساً ومذهباً فلا ينتظر من روسيا ان تدع النمسا تطأ الصرب تحت اقدامها . ولكن الغريب ان تكون المانيا هي الراغبة في هذه الحرب والنافخة في نارها وهي الدولة النشيطة التي بلغت في ميدان الرقي المادي والادبي شأواً لم تبلغه امة من الامم الاوربية الاخرى في مدة قصيرة . فكيف تريد الان حرباً ستكون ولا شك اعظم مأساة بشرية هولاً وفظاعة وتعود بالامم كلها الى الوراء مسافات شاسعات ...

ثم تنهد الشيخ وقال — وما هذه الحرب الا عاصفة جنون هبت على العالم لتزعزع اركان الدول وتهدد كيان المدنية

فقال عزيز — يقال ان المانيا تستعد لهذه الحرب اربعين سنة كاملة

قال — كل امة تستعد لمثل هذا اليوم العصيب . غير ان المانيا اكثر الامم استعداداً لكل طارئ وهي الان في احسن ادوار حياتها وكل امة تحسدها وترهبها . ولكنها ويا للاسف سوف تخسر كل شيء

قال — اراك يا عماه كثير التشاؤم بمصير المانيا في هذه الحرب بعكس الجمهور الكبير من رجال السياسة الذين يقولون باستحالة الانتصار عليها

فهزّ الشيخ رأسه وقال — ان الذي قهر نابوليون وهو في قمس عزه وجبروته سيقهر المانيا . ان بريطانيا التي أ لبت على فرنسا ونابوليونها كل امم اوربا ستؤلب على المانيا كل امم الارض الى ان تقهرها وتنفرد هي بازمة الكون بامره . نعم يا ولدي ان انكلترا الواقفة الان وقفة المتفرج على مقدمات هذا النزاع تنتظر بفارغ الصبر دخول المانيا في الحرب لتخوض هي ايضاً غمارها وتضرب المانيا اخيراً الضربة القاضية .. ان تجارة المانيا قد انتشرت في جميع الاقطار بالرغم عن حقارة مستعمراتها بالقياس الى مستعمرات انكلترا وفرنسا واصبحت على وشك استعمار العالم بامره استعماراً اقتصادياً . فاضرام نار الحرب الحالية جنون من المانيا وفوز لانكلترا . ومن يعش ير

وكان عزيز لدى سماعه هذه الاقوال قد نسي ما به ورأى من نفسه ارتياحاً الى الحديث . وكان الشيخ نعمان قد تعب وظهر ذلك على وجهه فصمت وهو يهزّ رأسه متألماً . ورأى عزيز ان يخرج من لدنه قبل ان يغير مجرى افكاره ويعود الى مخاطبته في موضوع غيابه فقال — ها انا ذاهب يا عماه الى المحل فعسى ان تقضي نهارك في احسن حال من الراحة والعافية

ثم ودعه وخرج يريد الذهاب الى المحل . وما كاد يخطو بضع خطوات حتى عاد الى نفسه فشعر بشدة اضطراره الى المال وعزم ان يستدين شيئاً من امين الصندوق ليفي ما اخذه بالامس من صراف المسرح . غير ان سليماً «امين الصندوق» لم يعطه الا عشرة جنيهات بدعوى انه لا يملك غيرها وانه انما يقدمها من جيبه لا من الصندوق . فأخذها عزيز وهو منقبض الصدر وجلس الى مكتبه ينتظر قدوم ناثان وما يأتيه به من الفرج

وماهي الا ساعة حتى اقبل ناثان . فاستقبله عزيز باشا وانفرد به في الطبقة العليا من المحل واخذا في الحديث

فقال ناثان — يسوءني ان اخبرك باني لم اجد تاجراً من اصدقائي يرضى بان يعطيك فروةً او عقداً كما ظننت امس ولكني وجدت تاجراً من تجار الآلات الموسيقية عنده انواع شتى من هذه الآلات من انواع البيانو والكمنجة والقيثار وغيرها

فتململ عزيز وقال — وماذا تنفعني هذه الآلات ؟ اني في حاجة الى المال او الى الفروة والعقد

قال — لا تضطرب ايها الصديق وما على المرء الا ان يسعى وقد سعيت جهدي فلم افز بطائل . وعندي ان ترضى بشراء بعض هذه الالات ثم نبيعها ونبتاع الفروة والعقد . ويجب ان لا تبطئ قبل ان يستفحل خطب الحرب ويصير عسراً الحصول على شيء

قال — اذا لم يكن مناص من ذلك فانا راضٍ بشرط ان تتولى انت تدبير هذا الامر

قال — سأفعل كل ما يرضيك فكن ناعم البال وهلم نذهب الان الى منزل هذا التاجر لتتعرف به وترى بعينيك البضاعة وتشتري ما يعجبك منها

قال — حسن فهيا بنا «ستأتي البقية»

بلا عنوان

حضرة الترتوار الفاضل صاحب النفائس العصرية

انت تريد ان اكتب مقالة لمجلتك . وانا اريد ان اروح النفس من عناء الكتابة . فما رأيك ؟ ايهما اولى انت ام انا ؟

أتريد ان افضلك على نفسي ، ولم يفعل هذا الأ السيد المسيح ، فكانت النتيجة ان اصحابك اليهود صلبوه وصلبونا من بعده؟ سبحان الله في طبعك ايها الرصيف الفاضل ! انت قد عشت في الناصرة الى ان صدق قوله «ليس لنبي كرامة في وطنه» فمشت طويلاً في القدس وشبعتَ من كنيسة القيامة والحرم وبيت لحم وسائر الآثار . واما انا يا اخي فهذه زيارتي الاولى ولعلها الاخيرة ، اذ لم يبقَ من العمر والقوة الأ القليل . فما بالك لا تسمح لي ان أتفرغ لزيارة تلك الاماكن وتريد ان أجهد قريحتي وأنزوي في غرفتي لاكتب مقالة ؟ كنتُ اظن ان في السيد الرصافي غنىً وانني أتقي به طالبك ، فاذا بك لا تترك الساق الأ ممسكاً ساقاً ، واذا بك تريد ان تجمع في مجالك بين الاول والآخر ، بين الشعر والنثر ، بين المجلي في حلبة الادب والمصلي

اما وقد ابيت الأ ان يكون رأيك الاعلى ، وغمرتني بفضل عنايتك وحسن ضيافتك فاليك ما تريد . ولكنني لا أعفيك من العقوبة في شكل خطي المنكر . فان استطعت بمعونة مرتب الحروف ان تحل طلاسم كتابتي كنت من القادرين النابغين وتوفرت لك المقالة

عرفتُ في القدس جمهوراً من الفضلاء . وكان سروري عظيماً اذ اجتمعتُ لاول مرة بمعروف الرصافي . فوجدته جبّاراً في جسمه ، جبّاراً في شعره ، جبّاراً في حديثه . ولعله بعد خليل المطران اول من عرفت من الشعراء ، تجالسه اياماً فلا يحدثك من شعره ولا يزعجك بتمجيد شاعريته . ذلك شأن داود بركات بين الكتّاب المجيدين . هؤلاء الفلاسفة لا يرسلون ثمرات عقولهم لمجرد ان يرى الناس جمالها ، وانما هم يرسلونها عفواً ، كما تندفع مياه الينبوع الصافي ، فلا تعلم من اين ولا يهمها الى اين ، على قاعدة جمال الدين الافغاني «ان الليث لا يعدم فريسته اينما ذهب» . ان في وجود امثال الرصافي كفارة عن كثير من السيئات التي نُكب بها الادب في شرقنا

وقد سرّني من القدس الشريف أن فيها جامعة للادباء لم أُوفق الى مثلها في دمشق او حيفا . فقد قضيتُ نحو اربعين يوماً في عاصمة المملكة السورية وقابلتُ فيها عدداً كبيراً من الادباء ، ولكن شملهم متفرق فلا يجتمعون في مكان معين او زمان شأننا في مصر . واما في القدس فان ليوث الادب يأوون الى عرين خاص يتهيبه مَن لم يكن من طبقتهم ، وهذا التهيب والوقار يساعدانهم على العزلة ويبعدان عنهم الغوغاء وقد بلغ من اعجابي بمجلسهم في القدس انني كما تعلم كنت اول من حضر واخر من انصرف ، حتى لا يفوتني جمال مجلسكم وفائدته

ولو ان بينكم مَن يحذو حذوي في مجالس ادباء مصر لاجتمع لديه الشيء الكثير من ثمرات العقول التي تليق يوماً ما ان تكون حديث المجالس . لانك تنال من الادباء ، وقد أرسلوا على سجيتهم ما لا تناله من ثمرات العقول ، اذا هم تأنقوا في الحديث وتأهبوا له

فهنيئاً لكم ولمجلسكم بكثير من الحسنات ، وفي مقدمتها مجلس الادباء

سليم سركيس

حفلتان تكريميتان

شهدت القدس في هذا الشهر حفلتين شائقتين اقام الاولى منهما (في بستان انثيموس) نادي الالعاب الرياضية

احتفاء بالصحافي المتفنن الكبير سليم افندي سركيس . وأقام الثانية (في مدرسة روضة المعارف) جمعية المنتدى الادبي وجمعية النادي العربي احتفاء بالسريين الكريمين نجيب بك سرسق وجورج بك لطف الله وقد حضر الحفلتين جمهور كبير من السراة والادباء وتلي فيهما عدد غير قليل من الخطب الرائقة . منها خطبة للاستاذ النشاشيبي تلاها في حفلة سركيس قال فيها: مرحباً بك سليم سركيس واهلاً وإنك لحقٌ خليقٍ بكل أهلٍ ومرحب وحيَّ هلاً بخلائق فيك فضلْتَ بها قرناءك . وخصائصَ لك آثرك الله بها على نظرائك . فانت ذو الكينونة في الكتابة التي لن تهرم ولن تبيد . وانت الكاتب النقاد الذي يخشى حدَّ يراعته ذو الحول والقوة والمال والبأس الشديد . وانت الذي علمت المصريين من ضروب الاحتفاء بالفضلاء والادباء ما كانوا قدماً يجهلون . وانت الهازل الجاد في القول . البالغ بصهبائه المقطوبة ما لا يبلغه الجادون الذين لا يهزلون ولله حبيب القائل :

المجد شيمته وفيه فكاهة — سمحٌ ولا جِدٌ لمن لم يلعبِ

ومنها قصيدة للاستاذ الرصافي تلاها في حفلة سركيس ايضاً وهي :

كم فاضل اكبرته قبل اللقا — فسجرت فيه من الثناء وطيسا
حتى اذا كان اللقاء وجدت ما — يعزى اليه من العلى معكوسا
الا الفتى سركيس اي وتشرفي — بلقائه الا الفتى سركيسا
جالسته في القدس اول مرة — فاحسّ قلبي من هواه رسيسا
في مجلس نظم الزمان بصدره — عقداً من الصيد الكرام نفيسا
اذ كان يسكرنا بخمر حديثه — فيدير منه على الجلوس كؤوسا
واذا افاض من الحديث بحكمة — خلنا محدثنا ارسطاليسا
يُحيي السرور الميت منك بنكتة — فيريك معجزة ابن مريم عيسى
واذا يحدّث مازحاً فنكاته — بالضحك تصفع من تراه عبوسا
ولو استدرَّ يد الشحيح بظرفه — يوماً لجاد له وحلَّ الكيسا
جالسته فكه الكلام منافثاً — اكرم بمثلك يا سليم جليسا
فمجالس الادباء انت رئيسها — اخلق بمثلك ان يكون رئيسا
او لست رب مجلة ادبية — تزري بازهار الرياض طروسا
في كل شهر بالفنون تزفها — عذراء باهرة الجمال عروسا
قد جئت في آدابها متنطساً — تشفي بنفث يراعك المألوسا
تبدو الحقائق من خلال سطورها — فتضيء في ليل الشكوك شموسا
لما قدمت القدس قصد زيارة — فمنحت وحشة اهلها تأنيسا
قمنا لفضلك يا سليم تجلة — نحني الظهور مطأطئين رؤوسا

ومنها قصيدة اخرى للاستاذ الرصافي ايضاً نظمها في وصف مدرسة روضة المعارف بمناسبة تلك الحفلة قال فيها :

انَّ في القدس للمعارف روضاً — من بني القدس مُنبتاً ازهارا
كلَّ يوم به المعلم يُري — للتلاميذ ديمةً مدرارا
نَضُرت روضة المعارف حتى — ابهجت بازهارها الابصارا
ولقد طاب نشرها عند ما فا — ح ذكياً فعطّر الاقطارا
قلت للطالبين فيها وقد ذُر — تُ ذَراها المطيب المعطارا
انما هذه المدارس روضٌ — يُنبت المجد والعلى والفخارا
تتغذى بها النفوس غذاءً — هو يُنمي العقول والافكارا
يدخل الناشئون فيها من النا — س نحاساً ويخرجون نضارا
تَمنح العاجز الضعيف اقتداراً — مُوشِكاً ان يُغالب الاقدارا
كانت الناس في القديم عبيداً — وبها اليوم اصبحوا احرارا
فعليكم فيها بتحصيل علمٍ — يُرغد العيش يُسعد الاعمارا

الى هنا انتهى المصفوف من هذا الجزء قبل ان وقع لنا ما وقع . وهو ما سنقصه على القارئ في الجزء القادم ان شاء الله